حديث القرآن الكريم
عن
التعذيب بالنار في الدنيا
دراسة موضوعية

إعداد

د/ رزق محمد رزق السواحلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا

حديث القرآن الكريم عن التعذيب بالنار في الدنيا

رزق محمد رزق السواحلي
قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية – طنطا – جامعة الأزهر – مصر
البريد الإلكتروني :rswahly@gmail.com

الملخص:

أعد الله النار لتعذيب العُصاة من عباده في الآخرة، لذا لم يعذبهم بها في الدنيا، فلم يبعث عليهم نارًا، وإنما كان للنَّارِ دور غير مباشر في تعذيب المَرَدَةِ من عباد الله في الدنيا، فأحرق بها الشياطين، الذين يحاولون استراق السمع ، كما أنزل الصواعق المحرقة على من يشاء من عباده ممن ضلوا الطريق، وجادلوا في ذات الله وصفاته وآياته ، وقد يكون التعذيب بها معنويًّا لا يحرق البدن، وإنما يحرق القلب، بإبادة الزروع والثمار، كما أهلك بعض المتمرِّدين من عباده بحجارة السِّجِّيل المطبوخة بالنار، كقوم لوط، وأصحاب الفيل وغيرهم. ولما كانت النَّار مُعَدَّة للعذاب في الآخرة، حرم الإسلام التعذيب بها في الدنيا، حتى ولو كان هذا التعذيب لحيوان بهيم، أو لحشرة مؤذية، أو لعدو غاشم؛ لأنَّ التعذيب بها من الأمور البشعة، التي تأباها الفطرة الإنسانية، وليس أدل على ذلك من أن كثيرا من الطغاة لم يقدموا على إحراق معارضيهم؛ فهذا فرعون وجنوده الذين أكثروا في الأرض الفساد، عندما آمن السحرة بموسى عليه السلام، لم يتوعدهم بالإحراق. ولكن بعض الطغاة الذين فسدت فطرهم، وقست قلوبهم أحرقوا بها بعض معارضيهم، فإبراهيم عليه السلام ألقاه قومه في نار عظيمة أوقدوها له، ولكنَّ الله نجاه منها وجعلها عليه بردًا وسلامًا، وأصحاب الأخدود أُحْرِقوا بالنار فعلًا؛ لأنهم قالوا ربنا الله، وكلَّ ذلك ذكره القرآن الكريم، حتى يتبين لنا أن الله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع أجر المؤمنين.

الكلمات المفتاحية: التعذيب ، بالنار ، نار ، الدنيا.

The talk of the Holy Qur'an about the torment with fire in this life

Rezk Mohamed Rezk Alswahely
Department of Interpretation and Quran Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Call - Tanta - Al-Azhar University - Egypt
E-mail: rswahly@gmail.com

Abstract :
Allah has prepared fire to torment the disobedient servants of him in the Hereafter, so He did not punish them with it in this life, He did not send fire upon them. Rather, fire had an indirect role in tormenting the rebellious servants of him in this world, so He burned the devils with it, just as He sent down the fiery thunderbolts upon his servants who have lost their way, and argued about his names and his signs. Sometimes, he punished some people with made of shale stones cooked with fire, like the people of Lot, and those who came with an elephant to destroy the Ka'bah and others. And since fire is prepared for torment in the Hereafter, Islam forbids torture with it in this world, even if this torture is for a wild animal, a harmful insect, or a brutal enemy. Because torture with it is one of the horrible things that human instinct disapproves of, and there is no evidence of that that many tyrants did not burn their opponents; This is Pharaoh and his soldiers who increased corruption in the land, when the magicians believed in Moses (PPUH), he did not threaten them with burning. Whoever, some horrible tyrants whose souls were corrupted, and whose hearts were hardened, burned some of their opponents with it. Ibrahim (PPUH) was thrown by his people into a great fire that they prepared for him, but Allah saved him from it and made it cool and peace upon him. Because they said, Our Lord is God, and all of this was narrated by the Holy Qur'an, so that it becomes clear to us that Allah does not correct the work of the corrupt, and does not waste the reward of the believers.

Keywords: Torture , With Fire , Fire Of This , Life .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لم يسو بين الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور ، (**الْحَمْدُ لِلَّهِ القائل** : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل النعمة والنقمة ، والمنحة والمحنة للمؤمنين رحمة ومنة .

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه وعلى أصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعـــد ..

فإن النار نعمة ونقمة ؛ فهي سلاح له حدان ؛ فلها حد مشرق براق ، وحد يذيب اللحم والعظم بالإحراق ، ولها وجه يشع على الدنيا الدفء ويريح الجَنان ، ووجه آخر يشيب نواصي الولدان ؛ فهي نعمة إذا استغلت فيما ينفع ، ونقمة إذا استغلت فيما يضر ؛ هي نعمة إذا اهتدى بها التائه الحيران ، ونقمة إذا اكتوى بها من لا حيلة له ولا سلطان .

وكان من المفترض أن يستغلها الإنسان . الذي كرمه الله وميزه بالعقل، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا . فيما ينفع ، وأن يتلاشى ضررها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

لكنه . للأسف الشديد . أكثر من استغلالها فيما يضر ؛ فأصبحت الحروب بين البشر تعتمد على النار اعتمادا كليا ، بل يعتمدون عليها في

(١) سورة : فاطر : ١٩ . ٢٠ .

تعذيب الأسرى ، في كثير من المعتقلات العالمية ؛ لذلك استعنت بالله . ﷻ . وعزمت على أن أجلي اللثام عن حديث القرآن الكريم عن هذه القضية الخطيرة ؛ حتى يتبين للناس رحمة الله بعباده ، وأن الإسلام جاء بما ينفع البشر ، لا بما يضرهم ٠

الدراسات السابقة :

الحديث عن التعذيب بالنار في الدنيا تناول العلماء كثيرا من مسائله، بيد أنها متناثرة في أمهات الكتب قديما وحديثا ، ولم أقف على أحد جمعها في مؤلف خاص بها ٠

ولكنني كتبت بحثا في مرحلة الترقية لدرجة (أستاذ مساعد بجامعة الأزهر) بعنوان : حديث القرآن عن منافع النيران ؛ فبينت فيه وجوه النعمة في نار الدنيا ، وفي هذا البحث أبين وجوه النقمة فيها ؛ حتى تكتمل الحلقة، ويرتفع البنيان ٠

إشكالية البحث :

هذا البحث يعالج ما وقع من كثير من الناس من إساءة استغلالهم للنار ، التي خلقها الله ﷻ ـ تذكرة ومتاعا ، كما قال تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [١] ؛ فاستغلوها في تعذيب البشر : المحاربين وغير المحاربين ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، ولكنه تعدى ذلك حتى وصل الأمر إلى أن يعذب الأب أو الأم ابنهما ، أو ابنتهما إذا ارتكب مخالفة لأوامرهما ، وقد يكون الأمر أتفه من أن يعاقب عليه بالضرب ؛ فضلا عن أن يكون العقاب بالحرق ، بل يصل الأمر . في بعض الأحيان . إلى كي الأطفال بالنار في مواضع حساسة من أجسادهم ،

(١) سورة : الواقعة : ٧٣ ٠

وهذا كله يدل على فساد الفطرة الإنسانية ، والبعد عن شرع الله ﷻ ـ لذا كتبت في هذا الموضوع لأعالج كل هذه القضايا ، وأبين وجه الحق فيها .

حدود البحث :

هذا البحث يتناول بالدراسة الموضوعية جميع الآيات القرآنية التي تتحدث عن التعذيب بالنار في الدنيا : سواء أكان التعذيب بعينها ، أم بمنتج من منتجاتها ، كالحجارة المطبوخة بها ، وسواء أكان التعذيب بها حسيا ، أم معنويا ، وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية ، وآداب أخلاقية ، وغير ذلك مما لا بد منه في التفسير الموضوعي .

منهج البحث :

اتبعت في هذا البحث المنهج الموضوعي ؛ فجمعت الآيات القرآنية التي تحدثت عن التعذيب بالنار في الدنيا وصنفتها حسب طبيعة الموضوع، ثم تناولتها بالشرح والبيان ، بطريقة موضوعية ، تجلِّي عظمة القرآن ، وتبين أهميته في معاش الناس ومعادهم .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يخرج في : مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين، وخاتمة .

أما المقدمة ؛ فبينت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطته .

وأما التمهيد ؛ فعنوانه : تعريف النار وبيان أهميتها في الدنيا ٠

وبينت فيه معنى النار في اللغة والاصطلاح ، ثم بينت مفهوم النار في العلم الحديث ، ثم بينت أن النار نعمة ونقمة .

وأما المبحث الأول ؛ فعنوانه : تعذيب الله ﷻ ـ بعض عباده بالنار في الدنيا .

وبينت فيه أن الله ﷻ أعد النار لعذاب العصاة في الآخرة ، ، ولكنه عذبهم بها بشكل جزئي ، وبطريق غير مباشر .

وأما المبحث الثاني ؛ فعنوانه : تعذيب الناس بعضهم لبعض بالنار .

وتحدثت فيه عن صورتين من صور تعذيب الناس بعضهم لبعض بالنار في الدنيا ، وهما : طرح المتمردين لخليل الرحمن في النار قاصدين قتله حرقا ؛ فكانوا هم الأخسرين ، وحرق أصحاب الأخدود للمؤمنين ظلما وعدوانا .

وأما الخاتمة ؛ فبينت فيها نتائج البحث ، وتوصيات الباحث ، ثم ذكرت المراجع التي اعتمدت عليها ، وفهرس الموضوعات .

ثم إنني عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ؛ وخرجت الأحاديث النبوية، والآثار تخريجا علميا ، ذاكرا الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد ، ثم نقلت حكم العلماء عليها ، إذا لم تكن في الصحيحين، وبينت معاني الكلمات الغريبة ، وترجمت للأعلام غير المعروفة ، ووثقت الآراء والأقوال من مصادرها الأصيلة .

وبعد ..

فهذا جهد المقل ؛ فما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان ، والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛ إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

بقلم

أ.د./ رزق محمد رزق السواحلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين بطنطا .

تمهيد

تعريف النار وبيان أهميتها في الدنيا

أولا : تعريف النار :

(أ) النار في اللغة :

تطلق النار في اللغة على : اللهب الذي يبدو للحاسة ، كما تطلق على الحرارة المجردة .

وهي مشتقة من مادة (ن و ر) وهي تدل على النفور يقال : نارت المرأة تنور نورا ونوارا : نفرت من الريبة ، والنوار : النفار من أي شيء كان[١] .

وسميت النار بذلك ؛ لأن فيها حركة واضطراباً [٢] .

(ب) النار في الاصطلاح :

عرفت النار في الاصطلاح بأنها : جوهر لطيف مضيء حار محرق[٣] .

(ج) النار في العلم الحديث :

إذا كان العلماء قديما عرفوا النار من خلال ما شاهدوه من رقة القوام والإضاءة ، وما لمسوه فيها من الحرارة والإحراق ؛ فإن العلماء المحدثين عرفوها من خلال بيان كيفية اشتعالها ، وعلته ، وتأثرها قوة وضعفا بسبب اختلاف وقودها ؛ فقالوا :

النار : عبارة عن عملية أكسدة سريعة للمادة ، تحدث نتيجة تفاعل كيميائي لغاز مع غاز آخر ؛ تتولد عنها حرارة وضوء [٤] .

---

(١) تاج العروس : ١٤ / ٣٠٤ (نور) ٠

(٢) تفسير البيضاوي [أنوار التنزيل وأسرار التأويل] : ١ / ١٨٩ ٠

(٣) انظر : التعريفات : ٣٠٧ ؛ تفسير الكشاف : ١ / ١١٠ ٠

(٤) انظر : الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٥٧ (احتراق) ؛ ٢ / ١٥٦٧ (لهب) ٠

ومعنى ذلك أن مادة الوقود اللازمة لإشعال النار واستمرارها مشتعلة لا بد أن تتحول أولا إلى غاز ، وذلك بتعريضها لدرجة حرارة ، تختلف باختلاف مادة الوقود ، فإذا كانت مادة الوقود صلبة ، كالخشب أو الفحم ؛ فإنها تحتاج إلى درجة حرارة عالية ، حتى يتبخر منها جزء ، تبدأ به عملية الاشتعال .

أما إذا كانت المادة سائلة كالبنزين ؛ فإنها تحتاج إلى درجة حرارة أقل؛ وذلك لسهولة تبخرها .

وإذا كانت المدة غازية كالغاز الطبيعي ؛ فإنه يشتعل سريعا .

وهذه الحرارة اللازمة لإشعال النار نحصل عليها إما من تعريض مادة الوقود لنار أخرى ، وإما من احتكاك الزناد عند قدح النار ٠

ثانيا : النار نعمة ونقمة :

إن النار نعمة ونقمة ؛ ذلك أنها عدو لا يمكن الاستغناء عنه ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : (إن هذه النار إنما هي عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم) [١] .

ثم إنها لا تفرق بين من يعبدها ويسجد لها ، وبين من يبزق فيها ، أو يبول عليها ، بل تعم الجميع بالإحراق إذا تمكنت منهم ؛ ولذلك فهي تقتل كل عام آلافا مؤلفة من البشر ، وتحرق آلاف المنازل ، وتلتهم آلاف الأفدنة من الغابات

ورغم ذلك ؛ فمنافعها أكثر من أن تحصى ٠

فهي سلاح له حدان ، فلها حد مشرق براق ، وحد يذيب اللحم والعظم بالإحراق ، ولها وجه يشع على الدنيا الدفء والحنان ، ووجه آخر يشيب نواصي الولدان ؛ فهي نعمة إذا استغلت فيما ينفع ، ونقمة إذا استغلت فيما يضر ؛ هي نعمة إذا اهتدى بها التائه الحيران ، ونقمة إذا اكتوى بها من لا حيلة له ولا سلطان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : الأشربة . باب الأمر بتغطية الإناء . عن أبى موسى الأشعري : ٦ / ١٠٧ / ٥٣٧٧ ٠

المبحث الأول :

تعذيب الله ﷻ . بعض عباده بالنار في الدنيا

إن الله . ﷻ . أعد النار لتعذيب العصاة من عباده في الآخرة ؛ لذا لم يعذبهم بها في الدنيا ، " وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق، والرياح، وبالحاصب، والرجم، وبالصواعق، وبالخسف، والمسخ، وبالجوع، وبالنقص من الثمرات، ولم يبعث عليهم نارا، كما بعث عليهم ماء وريحا وحجارة، وإنما جعلها من عقاب الآخرة وعذاب العقبى " (١) .

وإنما كان للنار دور غير مباشر في تعذيب المردة من عباد الله في الدنيا ، وقد ذكر القرآن لذلك صورا متعددة ، منها :

١ . **رجم الشياطين بالشهب** .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عديدة ، منها :

(أ) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (٢) .

(ب) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ (٣) .

---

(١) الحيوان : ٤ / ٤٦٤ .

(٢) سورة : الصافات : ٦ . ١٠ .

(٣)سورة : الملك : ٥ .

(ج) قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [١] .

فقد بينت هذه الآيات أن الله لم يخلق الكواكب في السماء عبثا ، وإنما خلقها لحكم عديدة ، من أبرزها : رجم الشياطين ، الذين يحاولون استراق السمع من الملأ الأعلى ، فإذا اقترب أي شيطان من السماء ؛ أتبعه شهاب ثاقب ؛ فأحرقه ، وأرداه محترقا.

والشهب : جمع شهاب ، ككتاب وكتب ، وهو يطلق في اللغة على الشعلة الساطعة من النار ، كما يطلق على : النجم المضيء اللامع ، ويطلق . أيضا . على : الأجرام السماوية ، التي تسبح في الفضاء فإذا دخلت في جو الأرض اشتعلت وصارت رمادا [٢] .

فأصل هذه المادة يدل على بياض ، يخالطه لون آخر ، كالسواد ، أو الخضرة ، أو نحو ذلك [٣] .

وظاهرة رمي الشياطين بالشهب ، ظاهرة معروفة ، منذ خلق الله الأرض ومن عليها ، ولكن الشياطين كانت تسترق السمع ، في بعض الأحوال ، فلما بعث النبي . ﷺ . شددت حراسة السماء ، ومنعوا من استراق السمع منعا باتا ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

---

(١)سورة :الجن : ٨ . ١٠ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط : ١ / ٤٩٧ (شهب) .

(٣) انظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٢٢٠ (شهب) .

١ . قوله . ﷺ . لبعض الأنصار عندما رمي بنجم وهم جلوس : (ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا) ؟ قالوا : . الله ورسوله أعلم . كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم ؛ فقال رسول الله . ﷺ . : (فإنها لا يرمى بها لموت أحد ، ولا لحياته) [١].

فقد دل هذا الجزء من الحديث على أن أهل الجاهلية كانوا يشاهدون رمي الشهب للشياطين ، ويعتقدون فيه اعتقادا فاسدا ؛ فبين لهم النبي . ﷺ . حقيقة الأمر في هذه الظاهرة .

٢ . سئل الزهري [محمد بن مسلم بن شهاب ت : ١٢٤هـ] . ﷺ . عن الشهب : (أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ) [٢]

٣ . قوله تعالى : ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [٣] .

فقد استنبط الإمام القرطبي **[محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح . ت: ٦٧١هـ]** من هذا النص الكريم أن الشياطين لم تكن ترمى رميا يقطعها عن السمع، ، ولكنها كانت ترمى وقتا ، ولا ترمى وقتا ، وترمى من جانب ، ولا ترمى من جانب ؛ فكانوا لا يقذفون إلا من بعض الجوانب ؛ فصاروا يرمون واصبا. ، وإنما كانوا . من قبل . كالمتجسسة من الإنس، ؛ يبلغ الواحد

(١)أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : السلام . باب : تحريم الكهانة. عن ابن عباس : ٤ / ١٧٥٠ ، رقم : ٢٢٢٩ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن بن عباس : ١ / ٢١٨ / (ح) ١٨٨٢ ؛ وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) سورة : الصافات : ٨ ، ٩ .

منهم حاجته ، ولا يبلغها غيره ، ويسلم واحد ، ولا يسلم غيره ، بل يقبض عليه ويعاقب وينكل به ؛ فلما بعث النبي . ﷺ . زيد في حفظ السماء ، وأعدت لهم شهب لم تكن من قبل ؛ ليدحروا عن جميع جوانب السماء ، ولا يقروا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها ؛ فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها ، إلا أن يختطف أحد منهم بخفة حركته خطفة ؛ فيتبعه شهاب ثاقب ، قبل أن ينزل إلى الأرض ؛ فيلقيها إلى إخوانه؛ فيحرقه ؛ فبطلت . من ذلك . الكهانة ، وصحت الرسالة والنبوة [١] .

٤ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [٢] .

ففي قوله : (ملئت) ؛ دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة ، وكذلك في قوله : (نقعد منها مقاعد) ؛ إشارة إلى أنهم كانوا يجدون فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب ، ولكن بعد مبعث النبي . ﷺ . ملئت المقاعد كلها [٣] .

٢ . إرسال الصواعق :

أصل الصعق في اللغة : الصوت الشديد ، يقال : حمار صعق الصوت، ، إذا كان شديدة ، والصاعقة : صوت الرعد الشديد ، الذي حق للإنسان أن يغشى عليه منه ، أو يموت ، وقد تسقط معه قطعة من نار ، لا تأتي على شيء إلا أحرقته ، ثم توسعوا في استعمال الصاعقة ؛ فأطلقوها

(١) انظر : تفسير القرطبي : ١٥ / ٦٦ .

(٢) سورة : الجن : ٨ ، ٩ .

(٣) انظر : الكشاف : ٤ / ٦٢٨ .

على : كل عذاب ، أو أمر هائل إذا رآه الإنسان ، أو سمعه ، أو أصابه ، صار من هوله ، وعظيم شأنه ، إلى هلاك وعطب ، أو ذهاب عقل ، أو فقد بعض آلات الجسم ؛ صوتا كان ذلك ، أم نارا ، أم زلزلة ، أم رجفة [1] .

التفسير العلمي للصواعق :

يرى الباحثون في علم الجغرافيا : أن عواصف الرعد يمكن أن تحدث نتيجة لنشاط التيارات الصاعدة التي يسببها ارتفاع درجة الحرارة في طبقات الجو السفلى، كما هي الحال في المنطقة الاستوائية، أو نتيجة لارتفاع الهواء الدافئ فوق الهواء البارد عند تقابل كتلتين هوائيتين مختلفتين في درجة الحرارة، أو لاندفاع الهواء في الأعاصير الدوارة بقوة إلى أعلى الجو، أو نتيجة لصعود الرياح بقوة على منحدرات الجبال التي تعترض طريقها، فيؤدي ذلك إلى ارتفاع الهواء الصاعد إلى مستويات مرتفعة جدا فيتكاثف بخار الماء العالق به بسرعة وتتكون منه سحب شديدة السمك والكثافة من النوع المعروف باسم المزن الركامي ، وتأخذ الأمطار في السقوط، إلا أن كثيرًا من نقط الماء لا تستطيع أن تصل إلى سطح الأرض بسبب قوة التيارات الصاعدة التي تدفعها باستمرار إلى أعلى، ويترتب على ذلك تزايد حجم هذه النقط حتى يبلغ قطر الواحدة منها نصف سنتيمتر تقريبًا. ومتى بلغت هذا الحجم لا تقوى على التماسك، فتتفتت إلى نقط صغيرة، لا تلبث أن تكبر ثم تتجزأ بنفس الطريقة وهكذا.

(١) انظر : التعريفات : / ١٧٢ ؛ مقاييس اللغة : ٣ / ٢٨٥ (صعق)؛ لسان العرب : ١٠ / ١٩٨ (صعق) ؛ تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ٢ / ٨٣ .

ويترتب على تفتت النقط المائية انطلاق شحنة كهربائية يتجمع السالب منها في قمة السحابة أما الموجب فيتجمع في وسطها، وقد يتجمع بعضه في أسفلها. وعندما تكبر هذه الشحنات يحدث تفريغ بين أعلى السحابة ووسطها أو بين السحابة والأرض أو بين سحابتين متجاورتين. والتفريغ الذي يحدث بين السحابة والأرض هو الذي يعبر عنه بالصاعقة، ويؤدي التفريغ الكهربائي إلى حدوث الشرارة المضيئة التي يعبر عنها بالبرق (١) .

وقد صور القرآن الكريم هذه الظاهرة أبلغ تصوير في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (٢) .

واستعملت الصاعقة في القرآن الكريم بمعان متعددة ، منها :

١ . الغشي : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

فقد دل هذا النص الكريم على أن المراد من الصعق هنا الغشي ، لا غيره ؛ لأن الله قال : (فلما أفاق) ، والإفاقة : رجوع العقل والفهم إلى

(١) انظر : الجغرافيا المناخية والنباتية : ص: ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٢) سورة : النور : ٤٣ .

(٣) سورة : الأعراف : ١٤٣ .

الإنسان ، بعد ذهابهما عنه بسبب من الأسباب ، ولا يقال للميت إذا عادت إليه روحه : أفاق ، وإنما يقال ذلك للمغشي عليه [١] .

٢ . الموت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

فقد بينت هاتين الآيتين : أن السبعين الذين اختارهم موسى بمن قومه، أخذتهم الصاعقة ، لما قالوا لموسى . عليه السلام . : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾؛ ثم بعثهم الله من بعد موتهم ؛ لأن موتهم . ذلك . كان عقوبة لهم ؛ فبعثوا من بعد الموت ليوفوا آجالهم [٣] .

ومما يدل على أن هذه الصاعقة لم يكن معها نار أمران :

أولهما : أن الله تعالى قال : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ولو كانت الصاعقة أحرقتهم ؛ لقال : من بعد إحراقكم ؛ لأن الإحياء بعد الإحراق ؛ أظهر للقدرة الإلهية ؛ إذ يكون بعد فساد البنية .

ثانيهما : أنه عبر عن هذه الصاعقة في موضع آخر بالرجفة ، حيث قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [٤] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٣٧٣ .

(٢) سورة : البقرة : ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن أبي حاتم – المكتبة العصرية : ١ / ١١٢ / أثر رقم : ٥٤٤ ؛ عن الربيع بن أنس .

(٤) سورة : الأعراف : ١٥٥ .

والرجفة في اللغة : الزلزلة ، يقال : رجفت الأرض ، إذا زلزلت ، والرجفان . بفتحتين . الاضطراب الشديد[١] .

٣ . العذاب : من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٢] .

أي : عذابا مثل عذابهم[٣] .

٤ . الصاعقة المصحوبة بنار :

وهذا النوع هو الذي يعنينا هنا .

فقد ذكر الله . ﷻ . أنه أنزل النار من السماء مصاحبة للأعاصير والصواعق ، ونحوهما ، وأدت هذه النيران إلى تعذيب عباد الله تعالى ، وكان لذلك صور ، منها :

الصورة الأولى : إحراق الأبدان :

وهذا التعذيب الحسي مذكور في قوله تعالى :﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾[٤] .

فقد بين هذا النص الكريم أن الله . ﷻ . يرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من عباده ممن ضلوا الطريق وجادلوا في ذات الله وصفاته وآياته، وأعرضوا عن الإيمان برسوله . ﷺ . حيث اقتضت حكمته ـ تعالى . ألا يمهلهم ؛ لعلمه أن لا خير في إمهالهم ، فاستحقوا الهلاك .

---

(١) انظر : مختار الصحاح : ١ / ٢٦٧ (رجف) .

(٢) سورة : فصلت : ١٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ٢١ / ٤٤٢ .

(٤) سورة : الرعد : ١٣ .

والعجيب أنه في هول البرق والرعد والصواعق ، وفي زحمة تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف بغضبه في هذا الهول ترتفع أصوات بشرية بالجدل في الله ، وهو شديد المحال ٠

وهذه صورة تتكرر كثيرا فقد بعث رسول الله . ﷺ . رجلا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله . تبارك وتعالى . فقال : أيش [1]ربك الذي تدعو إليه ؟ من نحاس هو ؟ من حديد هو ؟ من فضة هو ؟ من ذهب هو ؟ فأتى النبي . ﷺ . فأخبره فأرسله إليه الثالثة فقال : مثل ذلك فأتى النبي . ﷺ . فأخبره فأرسل الله . تبارك وتعالى . عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله . ﷺ . : إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته فنزلت هذه الآية ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [2]

ووقع ذلك . أيضا . لأربد بن قيس ، لما أراد قتل النبي . ﷺ . فحال الله بينه وبين ذلك ، ثم قال لقومه : والله لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل ، حتى أقتله ، ثم خرج بعد مقالته بيوم

(١)كلمة أصلها : أي شيء ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفا وجعلا كلمة واحدة فقيل أيش ٠ انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ١/ ٣٣٠ (شيء)

(٢) سورة : الرعد : ١٣ ٠

(٣)أخرجه : البزار في مسنده ((البحر الزخار) عن أنس : ١٣/ ٣٦١ . (ح) : ٧٠٠٧ ، وهو من طريق : ديلم بن غزوان قال عنه البزار : صالح بصري ؛ وصححه الضياء المقدسي في المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما : ٥/ ٨٩ ٠

أو يومين ، معه جمل له يتبعه ؛ فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما [١] .

وهذا الخبر ضعفه نقاد الحديث وصيارفته ، بيد أنني أرى أنهم إنما ضعفوا كون هذه القصة كانت سببا في نزول قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [٢] .

وأما إصابة الصاعقة لأربد ؛ فهذا أمر محقق ، وليس أدل على ذلك من أن لبيد بن ربيعة . وهو أخو أربد لأمه . رثاه بعد إصابة الصاعقة له بأكثر من قصيدة ، ومن ذلك قوله :

أخشى على أربد الحتوف [٣] ولا ... أرهب نوء السماك والأسد [٤]

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بإسنادين : أولهما عن سهل بن سعد الساعدي : ٦/ ١٢ . رقم ٥٧٢٤ ، وفيه عبد المهيمن بن عباس ، وهو ضعيف ، انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد كتاب : المغازي . باب : غزوة بئر معونة : ٦/ ١٢٦ . رقم : ١٠١٢٦؛ وثانيهما عن ابن عباس : : ١٠/ ٣١٢ . رقم : ١٠٧٦٠ ، وفيه : عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف. ٠ انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . كتاب : التفسير . باب سورة : الرعد : ٧/ ٤٢ . ٠ رقم : ١١٠٩١
كما رويت هذه القصة من طرق أخرى ، بيد أنها لا تخلو من ضعف ٠

(٢) سورة : الرعد : ١٣ ٠

(٣)الحتوف جمع حتف وهو : الْمَوْتُ يقال :مَاتَ فُلَانٌ حَتْفَ أَنفه إذا مات بِلَا ضَرْبٍ و ٥لَا قَتْلٍ، وَقِيلَ: إِذَا مَاتَ فَجْأَةً ٠ انظر لسان العرب : ٩ / ٣٨ (حتف) ٠

(٤) قوله (نوء السماك والأسد) الأنواء، ثَمَانِيَة وَعِشْرُونَ نجماً مَعْرُوفَة الْمطَالع فِي أَزمنة السَّنة كلهَا من الصَّيف والشتاء وَالربيع والخريف، يسْقط مِنْهَا فِي كُل ثلاثَ عشرَة لَيْلَة نجمٌ فِي الْمغرب مَعَ طُلُوع الْفجْر ويَطلع آخر يُقَابله فِي المَشرق من سَاعَته، وَكِلَاهُمَا مَعْلُوم مسمًّى.
وانقضاء هَذِه الثَّمَانِية وَالْعِشْرين كلّها مَعَ انْقِضَاء السّنة، ثمَّ يرجع الْأَمر إِلَى النَّجْم الأول مَعَ اسْتِئْنَاف السّنة المُقبلة.

=

وعين هلا بكيت أربد إذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد

فجعني البرق والصواعق ... بالفارس يوم الكريهة النجد [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [2] ، وإن كان نزل في سبب خاص إلا أن معناه يفيد العموم ؛ لأن مذهب جمهور الأصوليين : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [3] .

وهذا النص الكريم عام المعنى ؛ لأن كلمة (من) في قوله تعالى : ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ ، اسم موصول ، وهو يفيد العموم [4] .

وربما يقول قائل : إذا كان معنى هذه الآية عاما ؛ فهذا يعني أمرين :

=

وَكَانَت الْعَرَب فِي الجاهليّة إذا سقط مِنْهَا نجم وطلع آخر قَالُوا: لَا بُدَّ من أَن يكون عِنْد ذَلِك مطر أَو رِيَاح، فينسُبون كل غيث يكون عِنْد ذَلِك النَّجْم، فَيَقُولُونَ: مُطرنا بنَوْء الثريّا والدَّبَران والسِّمَاك.

فَهَذِهِ الأنواء، وَاحِدهَا: نَوْء. انظر : تهذيب اللغة : ١٥ / ٣٨٥ (نوء) .

والسماك نجمان نيران أَحدهمَا فِي الشمَال وَهُوَ السماك الرامح وَالْآخر فِي الْجنُوب وَهُوَ السماك الأعزل . انظر المعجم الوسيط : ١ / ٤٥٠ (سمك)

والأسد : أحد بروج السماء . انظر : السابق : ١٧/١ (أسد) .

(١)هذه الأبيات من بحر المنسرح ، وهي في ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ص: ٣٤ .

(٢) سورة : الرعد : ١٣ .

(٣) انظر : إرشاد الفحول : ١ / ٣٣٢ ؛ الإبهاج في شرح المنهاج : ٢ / ١٨٥ .

(٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ١ / ٥١ .

أولهما : أن هذا اللون من العذاب لا يختص بالضالين المارقين في زمن النبي . ﷺ . وإذا كان كذلك ؛ فلماذا لا تصيب هذه الصواعق المعاندين في زماننا ، الذين يمتهنون القرآن الكريم ، ويستهزئون بالرسول ﷺ ؟ .

والجواب عن هذا السؤال : أن نزول هذه الصواعق مقيد بمشيئته تعالى ؛ فلعل هؤلاء ممن لم يشأ الله أن يخزيهم في الدنيا ؛ إمهالا لهم حتى يتمادوا في غيهم ، من باب قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ (١) .

وحتى يكونوا فتنة لغيرهم من الكافرين ؛ فيقلدوهم في النيل من الإسلام وأهله

وحتى يكونوا فتنة للمؤمنين ؛ فيتميز المجاهدون والصابرون ، من اليائسين الخاملين ، من باب قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢) .

ثانيهما : أن هذه الآية ما دامت عامة ؛ فهي لا تختص بالمعاندين وحدهم ، وإنما تشمل المؤمنين . أيضا . وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلماذا يعذب بعض المؤمنين بالحرق في الدنيا ، وهم إنما يستحقون الثواب لا العذاب ؟!!

(١) سورة : الطارق : ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة : البقرة : ٢١٤ .

والجواب عن هذا السؤال : أن الواو في قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ تحتمل وجهين :

الأول : أن تكون واو الحال ؛ فيكون المعنى : فيصيب بها من يشاء ، في حال جداله في الله .

الآخر : أن تكون الواو استئنافية ، وذلك أنه تعالى لما تمم الدلائل على كمال علمه وقدرته على البعث ؛ أتبعه بقوله : ﴿ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ [1]

وعلى هذا الوجه يدخل المؤمنون في عموم الآية ، وتكون الحكمة من إنزال الصواعق عليهم : أن الله ـ ﷻ ـ قد يعذبهم في الدنيا ؛ تكفيرا لذنوبهم ؛ ورفعا لدرجتهم في الجنة ؛ فقد يصل المؤمن بذلك إلى مرتبة الشهداء ؛ لقوله ـ ﷺ ـ " الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المبطون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمطعون شهيد والحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد " [2] .

وقد سجل التاريخ صورا عديدة لنزول الصواعق على المؤمنين ، من ذلك ما يلي :

١ ـ في سنة أربع وخمسين ومائة سقطت صاعقة في المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر [3] .

---

(١) انظر : تفسير الخازن :٤ / ١١ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ عن جابر بن عتيك : ٧ / ٤٦٣ / ٣١٩٠ ؛ وصححه الأرناؤوط .

(٣) انظر : تاريخ الطبري :٤ / ٥٠٦ .

٢ . في سنة خمس وتسعين وستمائة وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، وهو يؤذن على سطح القبة [١] .

على أن إحصاء الصواعق التي أحرقت البشر ، التي سجلها التاريخ ؛ دونه خرط القتاد ؛ فهي من الكثرة بمكان .

الصورة الثانية : إحراق الزروع ، وإبادتها :

وهذا التعذيب المعنوي . الذي لا يحرق البدن ، ولكنه يحرق القلب . مذكور في القرآن الكريم في مواضع ، منها :

١ . قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

فقد بينت هذه الآية أن أي عاقل يكره كرها شديدا أن تحترق جنته ، وهي في غاية الحسن ، وهو في غاية الحاجة إليها .

فقد وصفت هذه الجنة بثلاث صفات تدل على أنها في أبهى صورة ، وفي أعظم أحوال الجنات ، وأكثرها نفعا ، وهذه الصفات هي :

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٣ / ٤٠٦ .

(٢) سورة : البقرة : ٢٦٦ .

١ . أن هذه الجنة مليئة بالنخيل والأعناب ؛ ذلك أن الجنة تكون محتوية على النخيل والأعناب ، ولا تكون الجنة من النخيل والأعناب ، بيد أنها وصفت بذلك بسبب كثرة النخيل والأعناب فيها فصارت كأنها صارت من النخيل والأعناب ووصف الجنة بكثرة النخيل والأعناب يدل على جمال منظرها ؛ لأنهما أشرف الفواكه ، وأحسنها منظرا ، حين تكون باقية على أشجارها ٠

٢ . أن وصف الجنة بأنها (تجرى من تحتها الأنهار) ؛ يدل على زيادة الحسن في هذه الجنة ٠

٣ . أن وصف الجنة بأن فيها من كل الثمرات ؛ يدل على كمال حالها [١] وليس المراد بهذا الوصف العموم ، وإنما المراد به : التكثير ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٢] ٠

كما وصف صاحب هذه الجنة بأنه صار في غاية الضعف ، واشتدت حاجته إلى هذه الجنة ، حيث أصابه الكبر ؛ لأنه إذا صار كبيراً وعجز عن الاكتساب كثرت جهات حاجاته في مطعمه وملبسه ومسكنه ومن يقوم بخدمته وتحصيل مصالحه فإذا تزايدت جهات الحاجات وتناقصت جهات الدخل والكسب إلا من تلك الجنة فحينئذ يكون في نهاية الاحتياج إلى تلك الجنة ٠

ثم إنه ذو عيال ؛ فهو في حاجة إلى نفعهم ، حيث نهم صغار ضعاف لا يستطيعون القيام بأنفسهم لصغرهم [٣] ٠

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب : ٧ / ٥٢ ٠

(٢) سورة : النمل : ٢٣ وانظر : تفسير أبي السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم] : ١ / ٢٦٠ ٠

(٣) انظر : مفاتيح الغيب : ٧ / ٥٢ ٠

والإعصار : يطلق في اللغة على : الريح التي تثير السحاب ، ويكون فيها نار ، وتكون ذات رعد وبرق ؛ أو هو : الرياح : التي تهب من الأرض ، وتثير الغبار : وترتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي تسميها الناس : الزوبعة ، وهي ريح شديدة ، ولا يقال لها : إعصار ، حتى تهب كذلك بشدة (١) .

ومما لا شك فيه أن تلف هذه الجنة دفعة واحدة ، واحتراقها بسبب النار ، المصاحبة للإعصار ، بعد زهاء أشجارها ، وإيناع ثمارها ، مصيبة كبرى ، ثم حصول هذه الفاجعة– وصاحبها كبير قد ضعف عن العمل ، وله ذرية ضعفاء ، لا مساعدة منهم له ، ومؤنتهم عليه ؛ فاجعة أخرى (٢) .

ثم لا شك أن من وقعت له هذه المحنة المركبة ؛ يحترق قلبه ، " فإذا أصبح الإنسان ، وشاهد تلك الجنة محترقة بالكلية ؛ فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة والمحنة والبلية : تارة بسبب أنه ضاع مثل ذلك المملوك الشريف النفيس ، وثانياً بسبب أنه بقي في الحاجة والشدة ، مع العجز عن الاكتساب ، واليأس عن أن يدفع إليه أحد شيئاً ، وثالثاً بسبب تعلق غيره به ومطالبتهم إياه بوجوه النفقة " (٣) .

وهذه الآية ليست خبرا عن جنة معينة أصابها إعصار ؛ فأحرقها ، ولكنها مثل ضربه الله . ﷻ . لمن يرائي بعمله ؛ فيضيع ثوابه ، أو لمن يعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيتبعه الشيطان ؛ فيضله ؛ فيصير عمله هباءً منثورا ، بيد أن احتراق الجنات بالأعاصير ؛ أمر مشاهد ، وقع كثيرا على ظهر البسيطة ، بل احتراق بلاد

(١) انظر : تاج العروس : ١٣ / ٦٦ (عصر) .
(٢) انظر : تفسير السعدي : ١ / ٩٥٧ .
(٣) مفاتيح الغيب – (٧ / ٥١)

كاملة ، وتدمير مدن عامرة ؛ فما أمر التسونامي [١] ، الذي وقع في أوائل القرن الحادي والعشرين ، منا ببعيد ؛ ففي ضحى يوم الأحد ، الخامس من شهر رمضان سنة ألف وأربعمائة وستة وعشرين (١٤٢٦هـ) الموافق : السادس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ألفين وأربعة (٢٠٠٤م) ضرب زلزال عظيم باكستان وكشمير ودولاً بجنوب آسيا، ثم زلزلت في نفس هذا اليوم قريباً من خمسين مرة – كما ذكرت باكستان –؛ وقد خلفت هذه الزلازل العظيمة في باكستان وكشمير قريباً من سبعين ألف قتيل، ومثلهم من الجرحى، وملايين المشردين، كما دمرت قرى كاملة حتى سوتها بالأرض [٢]

يقول الأستاذ : أبو يوسف بن إسماعيل المصري . عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [٣] .

ما ملخصه : وصف هذا الزلزال بأنه أحد أسوأ الكوارث الطبيعية التي ضربت الأرض على الإطلاق قتل فيه ما يقارب مائتان وخمسون ألف (٢٥٠٠٠٠) نسمة : وتعد موجة المد هذه من أكبر الكوارث الطبيعية في التاريخ الحديث ، حيث قام تسونامي برفع مستوى البحر لدى الشاطئ إلى ارتفاع نحو ٤٠ مترا نتيجة كمية المياه الهائلة القادمة من عرض المحيط

(١) تسونامي : أمواج البحر العاتية التي يسببها زلزال في قاع البحر على عمق أقل عن خمسين كليومترًا وبقوة أكثر عن ٦.٥ درجة على مقياس رختر ٠

وهي كلمة يابانية ، معناها : أمواج الميناء، وكأن اليابانيين عندما أصابهم تسونامي في مدينة آوا عام ١٧٠٣ م، ووجدوا الماء يدخل الميناء صاحوا: «أمواج الميناء! »، فصار ذلك اسمه من ذلك الوقت انظر : معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها : ص: ٨١ ، ٨٢ ٠

(٢) انظر : التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار : ص: ١٠٥ ٠

(٣) سورة : الملك : ١٨ ٠

باتجاه الشاطئ، وانشقت الأرض و خرج منها حمم بركانية فأغرقوا وأحرقوا و دمروا و شردوا و لقد رأيت الجثث المتفحمة بأم عيني [١] .

٢ . قوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴾ [٢] .

فقد جاءت هذه الآيات في أثناء المحاورة بين رجل فقير تقي ، وآخر غني شقي ، حيث بذل التقي النصيحة الخالصة لصاحبه الشقي ، ثم بين له أن كل يوم هو في شأن ، حيث يرفع الله أقواما ، ويخفض آخرين ؛ فتوقع هذا المؤمن الذي يرى بنور الله أن تتبدل الأحوال ، وأن يرزقه الله ما هو خير وأبقى ، وأن تنزل صاعقة من السماء على جنة هذا المغرور ؛ فتصبح أثرا بعد عين .

والحسبان : يطلق في اللغة على معان متفاوتة ؛ فمن المعاني التي تناسب هذا المقام : إطلاق الحسبان على الشر والبلاء والعذاب ، وعلى هذا ؛ فهو جمع حسبانة ، وهي : سهام صغار يرمى بها في طلق واحد ؛ فتنهال كالمطر ؛ فلا تمر بشيء إلا عقرته .

---

(١) انظر : التفسير الجامع لسورة الملك ، ص: ٢٤ .

(٢) سورة : الكهف : ٤٠ . ٤٣ .

ومن هنا أطلقت على كل مهلك كالنار والصواعق والجراد ، ونحو ذلك [١]

ولذلك فسر ابن عباس وقتادة الحسبان وابن زيد بالعذاب [٢] ، وفسره الضحاك بالنار [٣] .

وفسره بعض العلماء بالجراد [٤] .

وتفسير الحسبان بالنار ونحوها ؛ أولى من تفسيره بالجراد ونحوه ؛ لأن النار هي التي لا تبقي ولا تذر ؛ فتجعل الأرض ﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾؛ إذ لا خلاف بين أهل اللغة أن الصعيد : وجه الأرض، ترابا كان ، أم غيره [٥].

والزلق : الأرض الملساء ، التي لا تثبت عليها الأقدام [٦] .

وبذلك تصبح جنته أرضاً بيضاء ، لا ينبت فيها نبات ، ولا يثبت عليها قدم ، وهي أضر أرض بعد أن كانت أنفع أرض [٧] .

وإنما توقع الفقير ذلك ؛ لعلمه بأن الكفران مؤد إلى الخسران ، وأن الإعجاب سبب للخراب ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [٨] .

---

(١) انظر : لسان العرب : ١ / ٣١٤ ؛ مقاييس اللغة : ٢ / ٦٠ ، ٦١ (حسب) .

(٢) انظر : تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ١٨ / ٢٥ .

(٣) انظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٧/ ٢٣٦٣ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي : ٣ / ٣٠٧ ؛ تفسير القرطبي : ١٠ / ٤٠٨ .

(٥) انظر : التعاريف : ٤٥٦ .

(٦) انظر : لسان العرب : ١٠ / ١٤٤ (زلق) .

(٧) انظر : تفسير الماوردي : ٣ / ٣٠٧ .

(٨) سورة : الرعد : ١١ ؛ وانظر : تفسير روح البيان : ٥ / ١٩١ .

ولذلك وقع بعض ما توقعه الرجل الصالح ، حيث أحيط بثمر الشقي، أي : أهلك الله جنتيه ؛ فالإحاطة كناية عن عموم الهلاك والفساد ؛ فهي مأخوذة من إحاطة العدو بالقرية ، وهي : استدارته حولها من جميع جوانبها، ثم استعملت في الاستيلاء والغلبة ، ثم استعملت في كل هلاك [١].

ولما رأى الشقي ما أصاب جنتيه من الهلاك والخراب ؛ قرع سن الندم ، واحترق قلبه ؛ حسرة على احتراق ثمره ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ .

وتقليب الكفين : وضع بطن إحداهما على ظهر الأخرى ، وذلك كناية عن الندم والتحسر ، لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن ؛ فذلك فعل المتلهف المتأسف على خسارته ، كما كنى عن ذلك بعض الكف ، والسقوط في اليد [٢] .

الصورة الثالثة : بث الرعب والهلع في النفوس :

وهذا اللون الآخر من التعذيب المعنوي ، مذكور في مواضع ، منها :

١ . قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٣] .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ ؛ بحر العلوم : ٢ / ١١٠ ؛ روح المعاني : ١٥ / ٢٨٢ .

(٢) انظر : الكشاف : ٢ / ٦٧٦ ؛ المحرر الوجيز : ٣ / ٥٤٤ .

(٣) سورة : البقرة : ١٩ .

٢ . قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ﴾ٱلثِّقَالَ [١] .

٣ . قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢] .

فقد بينت هذه الآيات : أن الصواعق ، وما ينتج عنها من الرعد والبرق ؛ يبث الرعب في قلوب بعض الناس ، وخاصة ضعاف الإيمان والمنافقين ، حيث يخشون من البرق والصواعق ، والأمور الهائلة ، التي تؤدي إلى التهلكة ؛ ولذلك ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾.

وهذه الجملة الكريمة بينت ما يشعرون به من الرعب والفزع من ثلاثة أوجه :

أولها : أن التعبير بالجعل . دون الإدخال . يفيد دوام الملابسة ، واستمرار الاستقرار كما أن جعل شيء في شيء يدل على إحاطة الثاني بالأول ، وأما الإدخال فإنما يفيد مجرد الانتقال ، من الخارج إلى الداخل ؛ وهذا الإيثار للمبالغة في بيان سد المسامع ، باعتبار الزمان [٣] .

---

(١) سورة : الرعد : ٤٠ .

(٢) سورة : الروم : ٢٤ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم]: ١ / ٥٣؛ روح المعاني : ١ / ١٧٣ .

ثانيها : أن الذي يوضع في الأذن الأنملة ، لا الأصبع ، وإنما وضع الأصابع موضع الأنامل ؛ على سبيل المجاز المرسل ، بعلاقة البعضية ؛ ، فعبر عن الأنامل بالأصابع ؛ للمبالغة في إرادة سد المسامع ، بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها [١] .

ثالثها : أن جمع الأصابع إشارة إلى شدة تحيرهم وخوفهم ، وأنهم لم يتأملوا ويهتدوا حتى يجعلوا إصبعا واحدة ، وهي السبابة ؛ فهم تارة يجعلون هذا ، وتارة ذاك حتى يجعلوا الجميع ، ولا يسلكوا المسلك المعهود [٢] .

والبرق آية عجيبة من آيات الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ [٣] ؛ وذلك لأن حدوث البرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى ، وبيان ذلك : أن السحاب . لا شك أنه . جسم مركب من أجزاء رطبة مائية ، ومن أجزاء هوائية ونارية ، ولا شك أن الغالب عليه الأجزاء المائية ، والماء جسم بارد رطب ، والنار جسم يابس ، وظهور الضد من الضد التام ، على خلاف العقل ؛ فلا بد من صانع مختار يظهر الضد من الضد [٤] .

وجعل الله . ﷻ . البرق ﴿ **خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ آية نذارة وبشارة معا ؛ لأنهم كانوا إذا رأوا البرق طمعوا في نزول الغيث ، ولكنهم كانوا يخشون صواعقه [٥] .

---

(١) انظر : السراج المنير : ١ / ٣٠ ؛ التحرير والتنوير : ٢٩ / ١٨١ .
(٢) انظر : تفسير ابن عرفة : ١ / ١٦٥ .
(٣) سورة : الروم : ٢٤ .
(٤) انظر : مفاتيح الغيب : ١٩ / ٢٠ .
(٥) انظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٥٥ .

ومن ذلك كله يتبين أن : الصواعق . وما يصاحبها من الرعد والبرق . قد تكون عذابا وبلاء وشرا مستطيرا ؛ فقد تتسبب في كل أنواع البلاء المذكرة في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

٣ . حجارة السجيل :

لقد عذب الله . ﷻ . بعض خلقه بحجارة السجيل ، فذكر . في مواضع عديدة . في محكم كتابه أنه أرسلها على قوم لوط ، منها : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (٢) ؛ **وقوله** . ﷻ . : ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

فقد بينت هذه الآيات أن قوم لوط لما أعرضوا عن الإيمان ، وأصروا على العناد والطغيان ، ولم يقلعوا عن الفواحش والمنكرات ؛ قلب الله قراهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود .

---

(١) سورة : البقرة : ١٥٧ .

(٢) سورة : هود ، ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) سورة : الحجر : ٧٤ . ٧٧ .

وهذه الحجارة اختلف العلماء فيها اختلافا كثيرا ، بيد أن أرجح الآراء فيها : أنها حجارة من طين ، ويشهد لذلك : ما ذكره الحق تعالى في نفس القصة ، في سورة الذاريات ، حيث قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٣ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴾ (١) ، وأفضل ما يفسر القرآن بالقرآن ٠

أي أنها كانت من طين ، ثم طبخت طبخ الآجر ، حتى صارت قوية شديدة صلبة ٠

وهذا المعنى مروي عن ثلة من أساطين التأويل ، منهم : ابن عباس وقتادة وعكرمة وغيرهم (٢) ٠

بيد أن طائفة من أساطين التفسير ، وعلماء العربية ذهبوا إلى أن كلمة (سجيل) فارسية أعربت ، وأصلها : (سنك وكل) أي : حجر وطين (٣) ٠

وقد بين الحق تعالى أن هذا العذاب الذي أهلك به قوم لوط ليس بعيدا عن الظالمين ، حيث قال: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۭ ﴾ (٤) .

(١) سورة : الذاريات : ٣٢ ، ٣٣ ٠

(٢) انظر : تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ١٥ / ٤٣٣ / ١٨٤٣٠ ؛ ١٥ / ٤٣٤ / ١٨٤٣٣ ٠

(٣) انظر : صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب : تفسير سورة : ألم تر : ٤ / ١٨٩٨ ؛ تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ١٥ / ٤٣٣ ؛ تاج العروس : ٢٩ / ١٧٩ ؛ لسان العرب : ١١ / ٣٢٥ (سجل) ٠

(٤) سورة : هود ، ٨٣ ٠

فهذا تهديد عظيم . منه تعالى . لكل من لم يعتبر بحالهم، ؛ فيجتنب ارتكاب ما هلكوا بسببه ٠

والظاهر أن هذا التهديد يعم جميع الظالمين [١] ، ويدخل فيه الظالمون من قريش ، ومشركي العرب دخولا أوليا ٠

ويشهد لهذا العموم أمور :

١ . قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف)[٢] ، أي بالحجارة ٠

٢ . أن الله . تعالى . جعلهم آية ، أي : عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه أن يقترف المعاصي والموبقات ، وعلامة على قدرة الله على إنزال عذاب مماثل لعذاب قوم لوط ؛ يصيب كل من أبى واستكبر وكان من الكافرين ٠

٣ . أن الله . تعالى . أرسل حجارة السجيل على أصحاب الفيل ؛ لما حاولوا انتهاك حرمات الله ، أنزل الله تعالى في شأنهم سورة كاملة تسمى سورة الفيل ، حيث قال الحق تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [٣] ٠

---

(١) انظر : تفسير البحر المحيط : ٥ / ٢٥٠ ٠

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه . عن أبي هريرة : ١٥ / ١٦٢ / ٦٧٥٩ ؛ وحسنه الأرناؤوط ٠

(٣) سورة : الفيل : ١ . ٥ ٠

وذلك أن أبرهة بنا كنيسة بصنعاء ، سماها (القليس) لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة ، لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب ؛ فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من كنانة ؛ فأتى القليس فقعد فيه ، أي : أحدث ، حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ؛ فقال : من صنع هذا ؟

فقيل له : صنعه رجل من أهل هذا البيت ، الذي تحجه العرب بمكة؛ لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا ؛ فغضب ؛ فجاء فقعد فيها ، أي : أنه ليس لذلك بأهل ٠

فغضب أبرهة ؛ وحلف ليسيرن إلى البيت ، حتى يهدمه ؛ فجهز جيشا عظيما من جند الحبشة ، واصطحبوا معهم الفيل [١] ٠

فأقبل أصحاب الفيل ، حتى إذا دنوا من مكة فاستقبلهم عبد المطلب؛ فقال لملكهم : ما جاء بك إلينا يا ربنا ؟ ألا بعثت ؛ فنأتيك بكل شيء أردت؟ فقال : أخبرت بهذا البيت ، الذي لا يدخله أحد إلا آمن ؛ فجئت أخيف أهله ٠

فقال : إنا نأتيك بكل شيء تريد ؛ فأرجع ٠

فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه ، وتخلف عبد المطلب ، فقام على جبل ؛ فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ، ثم قال :

اللهم إن لكل إله حلالا فامنع حلالك

لا يغلبن محالهم أبدا محالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

(١) انظر : البداية والنهاية : ٢ / ٢١٢ ٠

فأقبلت مثل السحابة . من نحو البحر . حتى أظلتهم طير أبابيل ، التي قال الله . ﷻ . : ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [1] ؛ فجعل الفيل يعج عجا ، ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [2] .

والطير الأبابيل هي : الكثيرة المتتابعة ، يقال : جاءت إبلك أبابيل ، أي : فرقا ، وهذا يجيء في معنى التكثير، وهو من الجمع الذي لا واحد له ، وقال بعضهم: واحده أبول ، مثل عجول. وقيل : واحده إبيل [3] .

والعصف المأكول هو : ورق الزرع وورق البقل ، إذا أكلته البهائم ؛ فصار روثا [4] .

وبذلك يظهر أن الله . ﷻ . عذب بعض العصاة من عباده بحجارة السجيل ، المطبوخة بالنار ، وتوعد بها كل من جاوز الحد في الظلم ، وكان من الغاوين .

٤ . الدخان : ذكر الله . ﷻ . هذا اللون من العذاب في قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ

(١) سورة : الفيل : ٤ .

(٢) سورة : الفيل : ٥ ؛ وهذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس : ٢ / ٥٨٣ / ٣٩٧٤ ؛ وصححه الذهبي .

(٣) انظر : الصحاح : ٤ / ١٦١٨ (أبل) .

(٤) انظر : تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ٢٤ / ٦١٦ .

ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾ (١) .

فقد بينت هذه الآيات أن مما يجب انتظاره قبل قيام الساعة ، ذلك الدخان [٢] الذي يملأ ما بين السماء والأرض ، حتى يتأذى منه الناس ، ويظنون أنه نذير بنزولي عذاب مهلك ؛ فيضرعون إلى الله . ﷻ . أن يكشف عنهم ذلك الأذى ، ويرفع عنهم العذاب ، متوسلين إلى الله تعالى بدعوى الإيمان ؛ فيستجيب الله لهم ، ويرفع عنهم ذلك الدخان .

وقد جاءت الأحاديث عن رسول الله . ﷺ . مؤكدة لوقوع ذلك الدخان ، وأنه من أشراط الساعة ، من ذلك قوله ﷺ . (لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة) (٣) .

يقول الإمام النووي [يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦هـ]" هذا الحديث يؤيد قول من قال أن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريبا من قيام الساعة " (٤) .

وأما الأحاديث التي وصفت الدخان بأنه يملأ ما بين السماء والأرض، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما ، وأنه يأخذ بأنفاس الكفار ،

---

(١) سورة : الدخان : ١٠ . ١٥ .

٢ (الدخان) . بتخفيف الخاء . معروف ، وهو : ما يتصاعد عن النار في الهواء من دقائق الوقود غير المحترقة ، ويجمع على دواخن على غير القياس، ، كما قالوا : عثان وعواثن . انظر : مقاييس اللغة : ٢ / ٣٣٦ ؛ المعجم الوسيط : ١ / ٢٧٦ .

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : الفتن . باب : الآيات التي تكون قبل الساعة . عن حذيفة بن أسيد الغفاري: ٤ / ٢٢٢٥ ، رقم : ٢٩٠١ .

(٤)المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي : ١٨ / ٢٧ .

ونحو ذلك من الأوصاف ؛ فكلها أحاديث ضعيفة ، ولا يخلو واحد منها من علة ، بيد أن الحافظ ابن حجر [أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ] : ذكر بعضها ثم قال : " لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلا " (١) .

وهذا مذهب ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وحذيفة ابن اليمان (٢) ، وهو مذهب كثير من السلف والخلف (٣) .

وذهب بعض الصحابة والتابعين وغيرهم ، منهم : ابن مسعود ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم (٤) إلى أن هذا الدخان قد وقع ، وأنه أصاب مشركي قريش وحدهم ؛ فقد أخرج البخاري [محمد بن إسماعيل البخاري . ت : ٢٥٦هـ] عن ابن مسعود أنه قال : " إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي . ﷺ . دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (٥) .

بيد أن حمل النص القرآني على هذا التأويل ضعيف من وجوه :

---

(١) فتح الباري : ٨ / ٥٧٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري[جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ٢٢ / ١٦ . ١٨ .

(٣) انظر : أشراط الساعة : ٢١٨ ؛ التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة ص: ٦٩ ؛ تحفة الأحوذي ٦/ ٣٤٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري[جامع البيان عن تأويل آي القرآن] : ٢٢ / ١٣ . ١٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : التفسير . باب : { يغشى الناس هذا عذاب أليم } : ٤ / ١٨٢٣ / ٤٥٤٤ .

أولها : أن هذا الحديث السابق بين أن هذه الآيات إنما نزلت بعد نزول القحط بقريش ، ورؤيتهم للدخان ، والآيات الكريمة أمرت بارتقابه وانتظاره ٠

ثانيها : أن الآيات الكريمة بينت أن هذا الدخان يأتي من السماء ، وأما ما أصاب أهل مكة ؛ فإما أن يكون خيالا تخيلوه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع ؛ فذاك ليس بدخان أصلا ، وإما أن يكون عبارة عن تكدر الهواء . سنة الجدب . بكثرة الغبار ؛ لقلة الأمطار المسكنة له ؛ فهو كناية عن الجدب ؛ فذلك ليس بدخان أتت به السماء ؛ فكان حمل لفظ الآية على هذا الوجه عدولاً عن الظاهر لا لدليل منفصل وإنه لا يجوز[١] ٠

ثالثها : أن الله . ﷻ . وصف الدخان المنتظر بأنه دخان مبين ، أي: بين واضح ، يراه كل أحد وأما ما رآه أهل مكة ؛ فلم يكن كذلك [٢] ٠

رابعها : أن الله . ﷻ . وصف الدخان المنتظر بأنه : (يغشى الناس) وهذا الوصف لا يصدق إلا إذا وصل ذلك الدخان إليهم وعمهم واتصل بهم، وأحاط بهم ، كما تحيط الغاشية بالجسد ، وما وقع لأهل مكة لم يكن كذلك، ثم لو كان أمرا يخص مشركي مكة ؛ لما وصف بأنه (يغشى الناس)[٣]٠

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين هذين القولين ؛ فقالوا : هما دخانان ، مضى أحدهما ، وبقي الآخر ، [٤] ، بل روي هذا القول عن ابن مسعود نفسه [٥] ٠

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب : ٢٧ / ٢٠٧ ؛ روح المعاني : ٢٥ / ١١٧ ٠

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٧ / ٢٤٩ ٠

(٣) انظر : تفسير ابن كثير : ٧ / ٢٤٩ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٧ / ٢٠٨ ٠

(٤) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي : ١٨ / ٢٧ ٠

(٥) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١٢٦٧ ٠

بيد أن هذا الجمع بعيد . أيضا . لأن الآيات لم تتحدث إلا عن دخان واحد ؛ ولذلك قال العلامة الآلوسي [محمود بن عبد الله الآلوسي ت ١٢٧٠هـ] : " وحمل ما في الآية على ما يعم الدخانين لا يخفى حاله " [١] .

هذه هي الصور التي ذكرها القرآن الكريم ، لتعذيب الله بعض عباده بالنار في الدنيا ، سواء أكان هذا التعذيب حسيا ، أم معنويا ، وسواء أكان بالنار نفسها ، أم ببعض آثارها ، بيد أن هذا التعذيب لم يكن عذاب استئصال .

وجاءت السنة الشريفة ؛ فبينت أن النار ستصيب الناس بالرعب والفزع مرتين قبل يوم القيامة :

المرة الأولى : ذكرت في قوله ﷺ . " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى " [٢] .

وهذه النار خرجت بالفعل في المدينة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستمرت أكثر من شهر ، وكانت نارا عظيمة جدا ، تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك [٣]، ثم يصير كالفحم الأسود من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان ، وهذه النار غطت مساحة طولها أربعة فراسخ ، وعرضها أربعة أميال [٤]، وكان الناس يسيرون في ضوئها بالليل [١] ، "

---

(١) روح المعاني : ٢٥ / ١١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب : الفتن . باب : خروج النار . عن أبي هريرة: ٦ / ٢٦٠٥ / ٦٧٠١ .

(٣) الآنك : الرصاص الأسود . انظر : لسان العرب (١٠ / ٣٩٤ (أنك)

(٤) الفرسخ : ثلاثة أميال . انظر : لسان العرب : ٣ / ٤٤ (فرس) . ، والميل : =

واضطربت الأرض بمن عليها، وارتفعت الأصوات لخالقها، ودامت آثار الحركة حتى أيقن أهل المدينة بوقوع الهلاك وزلزلوا زلزالاً شديداً [٢] ٠

المرة الثانية : ذكرت في قوله ﷺ . في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة : (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) [٣] ٠

وبين رسول الله . ﷺ . أن هذه النار تأكل كل من تخلف من الناس ، حيث قال ﷺ : (تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا يكون لها ما سقط منهم وتخلف تسوقهم سوق الجمل الكسير) [٤] ٠

وبذلك يظهر أن النار ستعذب بعض عباد الله تعالى عذابا معنويا ، حيث تصيبهم بالرعب والفزع ، بل ستعذب بعضهم عذابا حسيا ، حيث تحرق من تخلف منهم ٠ والله أعلم ٠

=

مقياس للطول قدر قديما بأربعة آلاف ذراع وهو الميل الهاشمي وهو بري وبحري فالبري يقدر الآن بما يساوي١٦٠٩ من الأمتار والبحري بما يساوي ١٨٥٢ من الأمتار ٠ المعجم الوسيط : ٢ / ٨٩٤ (ميل) ٠

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي : ١٨ / ٢٨ ؛ البداية والنهاية : ٦ / ٢٨٤ ؛ تاريخ ابن الوردي : ٢ / ١٨٩ ٠

(٢) إظهار الحق : ٤ / ١٠١٦ ، ١٠١٧ ٠

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب : الفتن . باب : الآيات التي تكون قبل الساعة . عن حذيفة بن أسيد الغفاري: ٤ / ٢٢٢٥ ، رقم : ٢٩٠١ ٠

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك . عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ٤ / ٥٩١ / ٨٦٤٧ ؛ وصححه الذهبي في التلخيص ٠

المبحث الثاني

تعذيب الناس بعضهم لبعض بالنار

إن التعذيب بالنار من الأمور البشعة ، التي تأباها الفطرة الإنسانية ، وليس أدل على ذلك من أن كثيرا من الطغاة لم يقدموا على إحراق معارضيهم ؛ فهذا فرعون وجنوده الذين قال فيهم الحق جل في علاه : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ (١) ، ورغم ذلك عندما آمن السحرة بموسى عليه السلام ؛ لم يتوعدهم بالإحراق ، وإنما قال لهم : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) ؛ ولهذا حرم الإسلام التعذيب بالنار في الدنيا ، حتى ولو كان هذا التعذيب لحيوان بهيم ، أو لحشرة مؤذية ، أو لعدو غاشم ؛ فقد أخرج أبو داوود [ت٢٧٥هـ] عن محمد بن حمزة الأسلمي ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أمره على سرية : قال : فخرجت فيها ، وقال : إن وجدتم فلانًا ؛ فاحرقوه بالنار ، فوليت ؛ فناداني ؛ فرجعت إليه ؛ فقال : " إن وجدتم فلانًا فاقتلوه ، ولا تحرقوه ؛ فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار " (٣) .

وأخرج أبو داوود . أيضا . عن عبد الرحمن بن عبد الله [ت٧٧هـ] عن أبيه [عبد الله بن مسعود] أن النبي ﷺ رأى قرية نمل قد حرقناها فقال : "

---

(١) سورة الفجر / ١٠ . ١٢ .

(٢) سورة الشعراء / ٤٩ .

(٣) سنن أبي داود / كتاب : الجهاد – باب في كراهية حرق العدو بالنار / ٣ / ٥٥ / ٢٦٧٣ ؛ وصححه الألباني ، انظر السلسلة الصحيحة / ٤ / ١٣٩ .

من حرق هذه " قلنا : نحن ، قال : " إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" [١] .

وقد ذكر القرآن مشهدين اثنين من مشاهد التعذيب بالنار ، لم يذكر غيرهما على مدى تاريخ البشرية على ظهر هذه البسيطة :

المشهد الأول :

إنه لتلك المحاولة الفاشلة ، التي قام بها عباد الأصنام : من أعداء سيدنا إبراهيم الخليل . عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام . وقد حكى القرآن هذه المحاولة في عدة مواضع من الذكر الحكيم ، منها ما يلي :

١. قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ [٢] .

٢ . قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣]

٣ . قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) سنن أبي داود / كتاب : الجهاد – باب في كراهية حرق العدو بالنار / ٣ / ٥٥ / ٢٦٧٥ ؛ وصححه الألباني ، انظر السلسلة الصحيحة / ١ / ٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء / ٦٨ . ٧٠ .

(٣) سورة العنكبوت / ٢٤ .

(٤) سورة الصافات / ٩٧ ، ٩٨ .

فقد صورت هذه الآيات ذلك المشهد الرهيب ، وبينت الحكم العنيف الذي أصدره عباد الأصنام ، على خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، وهو أنه لا بد أن ينفذ فيه حكم الإعدام حرقا ؛ وما ذاك إلا لأنه أرشدهم إلى وحدانية الله ﷻ، حيث حطم أصنامهم ، إلا كبيرا لهم ؛ ليثبت لهم بالبرهان القاطع أن الله واحد ؛ إذ ﴿ لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ (١) .

فيا لها من آلهة ينصرها عبادها ، وهي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً؛ ولا تحاول لها ولا لعبادها نصراً! .

وقد بينت هذه النصوص الكريمة : ما أضمره عباد الأصنام لإبراهيم عليه السلام من العداوة والبغضاء ، وما أكنوه في أنفسهم الخبيثة من الغيظ والحنق عليه ، وبيان ذلك فيما يلي :

أولا : أنهم طلبوا أن يبنى له بنيان ؛ حتى يتمكنوا من إيقاد نار هائلة، يمكنهم السيطرة عليها ، مهما علا لهبها ، واشتد سعيرها ؛ فالبنيان يمنعها من أن تمتد إليهم ، أو إلى ممتلكاتهم .

ثانيا : أنهم عبروا عن وضعه في النار بالإلقاء وهو :: طرح الشيء من يدك ونبذه حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار اسما لكل طرح (٢) .

ثالثا : أنهم سموا النار التي أوقدوها من أجل إحراقه جحيما ، والجحيم يطلق في اللغة على معان عدة ، منها :

١ .: النار الشديدة التأجج والالتهاب ؛ ولذلك سميت نار الآخرة جحيما .

٢ . كل نار بعضها فوق بعض

---

(١) سورة الإسراء : ٤٢ .

(٢)انظر : الكليات : ٤٨١ .

٣ . كل نار عظيمة في مهواة

٤ . الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال)

٥ . الجاحم (من الحرب: معظمها وضيقها وشدة القتل في معتركها، وبالجملة يقال : جحم النار كمنع : أوقدها، فجحمت) ككرمت، جحوماً بالضم: عظمت، وجحمت كفرح، جحماً بالتحريك، وجحماً بالفتح، وجحوماً بالضم: (اضطرمت) وتوقدت وكثر جمرها ولهبها [١] .

رابعا : أنهم عبروا عن إحراقه بالتحريق الذي يدل على التكثير ، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى : ﴿ **قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ** ﴾ علما بأنهم أثناء المداولة قبل إصدار الحكم عليه طلبوا قتله أو تحريقه ، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ** ﴾ ، ثم استقر الرأي على التحريق ؛ فكأنهم قالوا : لا تلقوه في النار مرة واحدة فيقتل ويستريح ، ولكن حرقوه ، حتى يعذب بالنار أولا ٠

موقف العناية الإلهية من إبراهيم . عليه السلام .

إن العناية الإلهية كانت تحيط بإبراهيم . عليه السلام . فأبطلت كيدهم ، وأحبطت مكرهم ﴿ **وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗا** ﴾ [٢] ؛ ذلك أنهم بنوا بنيانا عاليا ، وألقوا خليل الرحمن من فوق أسواره ؛ حتى يقع في أسفله ؛ فقضى الله أن يكونوا هم الأسفلين ، وصدق الله إذ قال : ﴿

(١) تاج العروس : ٣١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ (جحم) ٠

(٢) سورة : الأحزاب : ٢٥ ٠

﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ (١) .

فعباد الأصنام ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾ ، ولكن كلمة أخرى قيلت فأبطلت كل قول ، وأحبطت كل كيد ؛ إنها كلمة ﴿ كُونِ ﴾؛ ذلك أنها الكلمة العليا التي لا ترد ؛ فهي الكلمة التي تكون بها أكوان ، وتنشأ بها عوالم: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢).

فالذي قال للنار : كوني حارقة ؛ هو الذي قال لها : كوني برداً وسلاماً ..

ومن هذا المشهد العجيب يتبين : أن المعاندين لا تنفعهم الآيات والمعجزات ؛ لأن العناد أصمهم ، واتباع الهوى أعماهم ، وصدق الله إذ قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ (٣) .

الآية الأولى هي تلك النجاة من النار . والآية الثانية هي عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة . والآية الثالثة هي أن

(١) انظر : درة التنزيل وغرة التأويل : ١ / ٩٠٦ ، والآيتان ٩٧ ، ٩٨ من سورة : الصافات .

(٢) سورة : يس : ٨٢ .

(٣) سورة : يونس : ٩٦ ، ٩٧ .

الخارقة لا تهدي القلوب الجاحدة . ذلك لمن يريد أن يتدبر تاريخ الدعوات ، وتصريف القلوب ، وعوامل الهدى والضلال

المشهد الثاني :

إنه ذلك المشهد المروع الذي ذكره القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (١) .

وهذا المشهد المروع يمكن بيانه على النحو الآتي :

أولا : العلاقة بين القسم بالسماء ، وبين قصة أصحاب الأخدود :

هذه الآيات تناسب ما قبلها ، من حيث أن المقسم عليه تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود وأنه لما كانت الأخاديد خطوطا مجعولة في الأرض مستعرة بالنار أقسم على ما تضمنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح فيها للناظرين في نجومها ، وهي ما سماها العرب : بروجا ، وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار في الأخاديد(٢) .

---

(١) سورة البروج / ١ . ١٠ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير / ٣٠ / ٢٣٧ .

ثانيا : سبب هذه المأساة المروعة :

فصلت السنة الصحيحة ما أجمل في هذه الآيات الكريمة ، حيث بينت سبب هذه المأساة المروعة ، كما بينت بعض مشاهدها ، تلك المشاهد التي يشيب لها الولدان : فقد أخرج مسلم في صحيحه عن صهيب [ت٣٨هـ] أن رسول الله ﷺ . قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلى غلامًا أعلمه السحر. فبعث إليه غلامًا يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرًا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل منى. قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي . وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك . فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربى. قال ولك رب غيري قال ربى وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل . فقال إني لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك. فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه

فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك. فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك. فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور [١] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام.

ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام.

فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها. أو قيل له اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة

(١) القرقور السفينة ٠ انظر لسان العرب : ٥ / ٩١ (قرقر) ٠

ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق [١]

ثالثا : من هم أصحاب الأخدود ؟ .

اختلف في المراد بأصحاب الأخدود على قولين :

أحدهما : أن المراد بهم الكافرون الذين حفروه ، وألقوا فيه المؤمنين

ثانيهما : أن المراد بهم المؤمنون ، الذين ألقوا فيه ، وأحرقوا بناره .

وسبب الاختلاف في المراد بـ (أصحاب الأخدود) أن الصاحب : يطلق في اللغة على : الملازم ، إنسانا أو حيوانا أو مكانا أو زمانا ، ولا فرق بين كون مصاحبته بالبدن ، وهو الأصل والأكثر ، أو بالعناية والهمة .

والصحبة تطلق في الأصل على الملازمة القليلة والكثيرة ، إلا أنها لا تقال عرفا إلا لمن كثرت ملازمته ، ويقال لمالك الشيء صاحبه ، وكذا لمن يملك التصرف فيه ، ويضاف الصاحب إلى مسوسه كصاحب الجيش، وإلى سائسه ، كصاحب الأمير ، بل قد يتوسعون في إطلاقه على المخالط في أحوال كثيرة ، ولو في الشر ؛ لأن الإضافة قد تكون لأدنى ملابسة [٢] .

وعلى هذا جاء في القرآن (أصحاب النار) مرادا بهم المعذبون فيها، كقوله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾

(١) صحيح مسلم كتاب : الزهد والرقائق / باب : قصة أصحاب الأخدود/ ٤ / ٢٢٩٩، ٢٣٠٠ ، رقم (٣٠٠٥) .

(٢) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف : ٢١١ ؛ المفردات في غريب القرآن : ٤٧٥ ؛ التحرير والتنوير : ٣٠ / ١٥٨ .

هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [١] ، ومرادا بهم خزنتها ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ [٢] .

وبناء على هذا الاختلاف يختلف المراد بالقتل في هذه الآيات ؛ ذلك أن أصل القتل في : اللغة : إزالة الروح عن الجسد ؛ بفعل إنسان ، أو غيره من المخلوقات[٣]، بيد أنه يطلق مجازا على معان كثيرة .

فإذا كان المراد بـ (أصحاب الأخدود) المؤمنين الذين ألقوا فيه ، وأزهقت أرواحهم بالنار ؛ فالمراد بـ (القتل) حقيقته ، التي هي : إزالة الروح من الجسد .

وإذا كان المراد بـ (أصحاب الأخدود) الكافرين الذين حفروه ، وألقوا فيه المؤمنين ؛ فالمراد بـ (القتل) :. اللعن .

فعبر بالقتل وأراد اللعن على سبيل : (الاستعارة التصريحية التبعية)، وذلك أن القتل لما كان أغلظ العقوبات ، ولا يقع إلا عن سخط عظيم ، يوجب الإبعاد عن الخير والرحمة ، الذي هو معنى اللعن ؛ فكان القتل من لوازم اللعن ، ومن لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ؛ فبين القتل واللعن معنى يجمعهما ، وهو : أن اللعن إبعاد من الرحمة ، والقتل إعدام ، وإبعاد من الحياة [٤] .

وهذا هو الراجح ؛ لأن كون أصحاب الأخدود هم المؤمنون ضعيف ؛ لأمرين :

---

(١) سورة : البقرة : ٣٩ .

(٢) سورة : المدثر : ٣ .

(٣) انظر : الكليات : ٧٢٩ .

(٤) انظر : روح البيان : ١٠ / ٣٨٦ .

أحدهما : أن الخبر عن قتل أصحاب الأخدود بالإحراق فيه لا يحتاج إلى التوكيد بالقسم ؛ إذ لا ينكره أحد ؛ فهو قصة معلومة للعرب ٠

ثانيهما : أن انتساق ضمائر جمع الغائب المرفوعة من :قوله : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [١] ، إلى قوله : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [٢] ؛ يقتضي أن يكون أصحاب الأخدود واضعيه لتعذيب المؤمنين [٣] ٠

والأخدود : شق في الأرض مستطيل عميق ، وأصله خدي الإنسان ، وهما : ما اكتنف الأنف عن يمين وشمال [٤] ٠

رابعا : بيان هول نار الأخدود :

هذا الملحظ مستفاد من قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ ﴾ ٠

فقد أفادت هذه الآية الكريمة فظاعة نار الأخدود من وجوه :

أحدها : أن كلمة : ﴿ ٱلنَّارِ ﴾ بالجر . على قراءة الجمهور . وقعت بدل اشتمال من ﴿ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ وهذا يدل على أن الأخدود مشتمل على النار ، وهو بها يكون مهيبا مشتد الهول [٥] ٠

ثانيها : أنه قرئ شاذا (النار) بالرفع ؛ فتكون خبرا لمبتدأ محذوف ، أي : هي ، أو هو النار ، ويكون الضمير راجعا إلى الأخدود ، وكونه النار . خارج مخرج المبالغة ، كأنه نفس النار [٦] ٠

---

(١) سورة : البروج : ٦ ٠

(٢) سورة : البروج : ٨ ٠

(٣) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٤٠ ٠

(٤) انظر : مقاييس اللغة : ٢ / ١٤٩ ؛ التوقيف على مهمات التعاريف : ١٥٢ ٠

(٥) انظر : روح البيان : ١٠ / ٣٨٨ ٠

(٦) انظر : تفسير البحر المحيط : ١٠ / ٤٤٤ ؛ روح المعاني : ١٥ / ٢٩٩ ٠

ثالثا : أن النار وصفت بأنها : (ذات الوقود) وهو وصف لها بغاية العظمة ، وارتفاع اللهب ، وكثرة ما يوجبه ٠

ووجه إفادته ذلك : أنه لم يقل : موقدة ، بل جعلت ذات وقود ، أي : مالكته ، وهو كناية عن زيادته زيادة مفرطة ؛ لكثرة ما يرتفع به لهبها ، وهو الحطب الموقد به ؛ لأن تعريفه استغراقي ، وهي إذا ملكت كل موقد به ؛ عظم حريقها ولهبها ، وذلك لأنه لا يقال ذو كذا إلا لمن كثر عنده كذا [١]٠

فهذا وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس ، حيث دل على ذلك التعريف الاستغراقي ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف إذ من المعلوم أن النار لا تخلو من حطب [٢] ٠

وإنما حرص أصحاب الأخدود على أن تكون نارهم عظيمة شديدة ؛ حتى تردع المؤمنين عن إيمانهم ؛ لأنه لم يكن بينهم وبينهم ثأر ، أو عداوة قديمة ، وإنما نقموا عليهم بسبب إيمانهم بالله ، وكانوا يطمعون في رجوعهم إلى دينهم القديم ، وهذا المعنى يمكن استفادته من القرآن والسنة :

أما القرآن ؛ فقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ ، حيث عبر بالمضارع : ﴿ يُؤۡمِنُواْ ﴾ ، يقول ابن عجيبة [ت١٢٢٤هـ] : " وعبر بلفظ المضارع، ولم يقل : إلا أن آمنوا ، مع أن القصة قد وقعت ؛ لإفادة أن التعذيب إنما كان بسبب دوامهم على

(١) انظر : السابق ٠

(٢) انظر : الكشاف : ٤ / ٧٣١ ؛ روح البيان : ١٠ / ٣٨٨ ، ١٠ / ٣٨٩ ٠

الإيمان ، ولو كفروا بالرجوع عن الإيمان في المستقبل لم يعذبوهم ؛ فكأنه قال : إلا أن يدوموا على الإيمان" [1] .

وأما السنة ؛ فما جاء في القصة من قول الملك لجنده: " من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها " فقد أفاد هذا النص بمفهومه أن من رجع عن دينه تركوه .

وهذا يعني أنهم كانوا يريدون أن يقللوا عدد المحترقين في الأخدود قدر الطاقة ، لكن عقيدة المؤمنين كانت راسخة ؛ فحالت بينهم ، وبين الرجوع إلى الكفر .

خامسا : قسوة قلوب أصحاب الأخدود :

إن القرآن الكريم صور قسوة قلوب أصحاب الأخدود تصويرا يدل على أنهم فسدت فطرتهم ، وفقدوا جميع صفات الإنسانية ، حتى أصبحت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

١ . أنهم قتلوا المؤمنين بأبشع طرق القتل ، وهي : الحرق بالنار ، وهي طريقة تأباها الفطرة الإنسانية .

٢ . أن قوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ﴾ ، يوحي أن أصحاب الأخدود قست قلوبهم فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة ، حيث يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود عليها على الأسرة، فكهون كأن شيئا لم يكن، وهذا من الجبروت أن يرى الإنسان البشر تلتهمه النار وهو جالس على سريره يتفكه بالحديث ولا يبالي [2] .

(١) البحر المديد : ٧ / ٢٧٧ ؛ التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٤٦٩ .

(٢) انظر : تفسير العثيمين : (جزء عم) : ١ / ١٢٦ .

٣ . التعبير بالموصول في قوله : ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

حيث إن في التعبير به من الإبهام ما يفيد أن الذين باشروا إلقاء المؤمنين في النار فيهم غلظة في تعذيب المؤمنين وإهانتهم والتمثيل بهم ، وذلك زائد على الإحراق [١] .

سادسا : تأكيد المدح بما يشبه الذم :

بين الحق . ﷻ - أن الكافرين إنما نقموا من المؤمنين ، لأنهم أصروا على إيمانهم ، حيث قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

وإجراء هذه الصفات الثلاث على اسم الجلالة ؛ لزيادة تقرير أن ما نقموه منهم ليس من شأنه أن ينقم ، بل هو حقيق بأن يمدحوا به ؛ لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به ، لأجل صفاته التي تقتضي عبادته ، ونبذ ما عداه ؛ لأنه ينصر مواليه ويثيبهم ؛ ولأنه يملكهم ، وما عداه ضعيف العزة ، لا يضر ولا ينفع ، ولا يملك منهم شيئا فيقوى التعجيب منهم بهذا [٢] .

فقد أكد النص الكريم أن المؤمنين ظلموا أبلغ ظلم ؛ لأنه أكد براءتهم من كل جريرة يمكن أن تلصق بهم ، وتكون سببا للنقمة منهم ؛ فهم لم يقترفوا إلا الإيمان بالله العزيز الحميد ، فإذا كان ذلك جريمة ؛ كان من حق أصحاب الأخدود أن ينقموا منهم ، أما والحال أنه ليس كذلك فلا يحق لأحد أن ينقم عليهم ، أو يعذبهم.

وهذا اللون يسمى في علم البديع (تأكيد المدح بما يشبه الذم) وهو على ضربين:

---

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٤٣ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٤٤ .

أحدهما : أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء ، بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ** ﴾ [1] ، وقول النابغة [ت١٨ق٠هـ] :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول [2] من قراع الكتائب [3] .

فقد جعل الفلول عيبا ، على سبيل التجوز ، بتا لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول : إن كان فلول السيف من القراع عيبا ؛ فإنهم ذوو عيب ، على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال ؛ فهو في المعنى تعليق بالمحال ؛ كقولهم : "حتى يبيض القار"؛ فالتأكيد فيه من وجهين :

١ . أنه كدعوى الشيء ببينة .

٢ . أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا ؛ فإذا نطق المتكلم بـ (إلا) أو نحوها ؛ توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا، وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح؛ لكونه مدحا على مدح ؛ فالاستثناء بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل. [4] .

---

(١) سورة : التوبة : ٧٤ .

(٢) الفلول جمع فل وهو الكسر في حد السيف . انظر لسان العرب : ٥٣٠/١١ (فلل) .

(٣) هذا البيت من بحر الطويل ، وهو للنابغة الزبياني ، انظر : ديوانه : ٤٤ .

(٤) انظر : الكشاف : ٢٧/٣؛ بغية الإيضاح: ٦٢٢،٦٢٣/٤؛ إعراب القرآن وبيانه:١٢٥٠/٦

ثانيهما : أن تثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء ، مثل حديث : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" [١] .

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعا ، فبقي على حاله من الانقطاع ؛ لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة ، يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها ؛ فحينئذ لا يستفاد التوكيد فيه إلا من وجه واحد ، وهو الوجه الثاني ؛ ولهذا كان الضرب الأول أبلغ ؛ لإفادته التأكيد من وجهين [٢] .

سابعا : حكم المكره على الكفر :

إن المؤمنين الذين أحرقوا في الأخدود أكرهوا على الكفر ؛ فأبوا ، ولم يذعنوا لأولئك الطغاة القساة القلوب ، وآثروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية ، ولنا أن نتساءل : هل كانوا محقين في هذا الإصرار ، أو أنهم جانبهم الصواب ، حيث شقوا على أنفسهم ، وكان عندهم من الفسحة في الدين ما تسمح لهم بمجاراة هؤلاء المجرمين ، والتلفظ بكلمة الكفر ؛ لينجوا بأنفسهم من الإحراق بالنار ذات الوقود؟ .

---

(١) قال العجلوني : " معناه صحيح ، ولكن لا أصل له ، كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ ، وأورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد " ، كشف الخفاء : ١ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، رقم : (٦٠٩) .

وانظر : تفسير ابن كثير : ١/ ١٤٣ .

قلت : رغم ذلك فإنه يصح الاستشهاد به ، لا على أنه من كلام النبي . ﷺ . ولكن على أنه كلام نطق به بعض العرب الذين يحتج بكلامهم .

(٢) انظر : جواهر البلاغة : ٣١٣ ؛ علوم البلاغة : ٣٤٢ ؛ نهاية الأرب : ٧ / ١٢١ ؛ معجم مقاليد العلوم : ١٠٣ .البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٥١ ؛

وللإجابة عن هذا السؤال نقول . وبالله التوفيق . : إن العلماء اختلفوا في المكره على الكفر أيهما أفضل في حقه : الأخذ بالرخصة فيما أكره عليه، أم الصبر على الأذى ، ولو أدى ذلك إلى قتله ، والحق أن القطع بتفضيل الرخصة على العزيمة ، أو العزيمة على الرخصة مطلقا قول غير سديد ؛ لأن كلا منهما قد يكون أفضل من الآخر باختلاف الأشخاص، والأحوال ، والأزمنة ، والأمكنة ؛ لأن سبب الرخصة وهو : الضرورة ليس له ضابط معين يتساوى فيه جميع المكلفين؛ فالضرورة أمر إضافي نسبي ، لا أصلي ، ومن هنا ؛ فكل مكلف فقيه نفسه في الأخذ بها ، ما لم يجد مانعا شرعيا يمنعه عن الأخذ بها ؛ [1] .

لذا يمكن أن نقول : إن الرخصة تعتريها الأحكام الخمسة ، وبيان ذلك على النحو الآتي :

١ . الوجوب : وذلك إذا أكره على الفطر في نهار رمضان ، أو أكل الميتة [2].

٢ . الندب : وذلك إذا كان المكره على الكفر ممن يرجو النكاية في العدو ؛ فالأفضل له أن يدفع القتل عن نفسه ، ويتلفظ بكلمة الكفر ؛ لما في بقائه من صلاح المسلمين [3] .

٣ . الإباحة : وذلك إذا علم المكره من نفسه أنه سيضعف عن التزام الشدة ، ولن يطيق الأذى [4] .

---

(١) انظر : المهذب في علم أصول الفقه : ١ / ٤٦١

(٢) انظر : الأشباه والنظائر للسيوطي : ١ / ٢٠٧ .

(٣) انظر : المجموع شرح المهذب – (١٩ / ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) انظر : فتح الباري : ١٠ / ١١٥ .

٤ . الكراهة : وذلك إذا أكره على الكفر ، وكان عالما يقتدي به ؛ فقد قيل للإمام أحمد [أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت : ٢٤١هـ] : إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا . وقال : إذا أجاب العالم تقية ، والجاهل يجهل، فمتى يتبين الحق ؟ والذي نقل إلينا خلفا عن سلف أن الصحابة ، وتابعيهم ، بذلوا أنفسهم في ذات الله. ، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا سطوة جبار ظالم [١] .

٥ . الحرمة : وذلك إذا قيل له : اقتل فلانا وإلا قتلتك ؛ فإنه لا يجوز له قتله؛ لتعلقه بحق من حقوق الغير [٢] .

ومن ذلك يتبين أن الذين أحرقوا في الأخدود كان عندهم من العزم والصبر واليقين ما جعلهم لا يبالون بالإحراق في ذات الله ؛ فإن قمة الإيمان تتمثل بأولئك الذين بلغوا القمة في الصبر والتضحية واليقين، ولم يدفعهم الخوف أو الإكراه إلى تنفيذ أوامر الطغاة والظلمة والمجرمين .

ومن ذلك يتبين : أن هذين المشهدين العظيمين بينا قدرة الله ﷻ . وسنته في الأسباب والمسببات ، وأنه وحده القادر على سلب القدرة من القادر متى شاء ، وكيف شاء ؛ فسبحانه سبحانه : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٣] .

(١) انظر : الآداب الشرعية : ١ / ١٥٩ .

(٢) انظر : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر : ٢ / ٤٣٣ .

(٣) اقتباس من الآية ٢٣ من سورة : الأنبياء .

ثامنا : حكم حرق العدو بالنار :

الظفر بالعدو أمر تتوق له النفس، والانتقام منه كذلك أمر ينزل البرد على القلوب.

وعندما يكون الظافر صاحب حق – ولا حق سوى الإسلام – والعدو صاحب باطل – وأعظم الباطل هو الكفر – وعندما يكون هذا العدو الكافر قد عاند الحق وجحده وآذى صاحبه – المؤمن – ولم يرع في حقه عهدا ولا قرابة، عندما يكون الظافر هو المسلم المظلوم، والمظفور به هو الكافر الظالم، تكون مسوغات الانتقام في قمة الحجة والبرهان.

وهنا تتوق النفس إلى استعمال أشد الأساليب انتقاما؛ فتتجاوب العواطف طالبة قتله بأشد أساليب القتل، ولعل حر النار أشفى لقلب المسلم عندما يراها تلتهم كل جزء من أجزاء بدن عدوه الكافر، فليكن قتله بالنار، هو الشافي (١) بيد أن تحكيم العواطف في أمور الدين لا يجوز ؛ ولذلك أختلف العلماء في هذه القضية على قولين :

أولهما : : أن حرق العدو بالنار جائز ، وهذا مذهب أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد ، وأجازه الإمام أبو حنيفة [ت١٥٠هـ]والشافعي [ت٢٠٤هـ] و والثوري[سفيان بن سعيد بن مسروق ت١٦١هـ] والأوزاعي [عبد الرحمن بن عمرو ت : ١٥٧هـ] (٢) ، **واستدلوا على ذلك بما يلي :**

١ . عموم قوله تعالى : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ (٣)، حيث لم يستثن قتلا من قتل. (١)

(١) انظر : آداب الجهاد في سبيل الله : ص: ١٤٥ .

(٢) انظر : الإنجاد في أبواب الجهاد : ١ / ٢٤٧ .

(٣) سورة : براءة : جزء من الآية : ٥ .

٢ . ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس . ﷺ . أن نفرا من عكل وعرينة قدموا على النبي . ﷺ . ، فأسلموا، فاجتووا المدينة «فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة، فيشربوا من أبوالها وألبانها» ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها، واستاقوا الإبل، فبعث في آثارهم، فأتي بهم «فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، ثم لم يحسمهم حتى ماتوا)[٢] .

٣ . ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عروة . ﷺ . قال: (حرق خالد بن الوليد ناسا من أهل الردة، فقال عمر لأبي بكر: «أتدع هذا الذي يعذب بعذاب الله» فقال أبو بكر: «لا أشيم سيفا [٣] سله الله على المشركين) [٤] .

٤ . ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عكرمة . ﷺ . (أن عليا . ﷺ . ، حرق قوما، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي . ﷺ . قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم كما قال النبي . ﷺ . : «من بدل دينه فاقتلوه) [٥].

٥ . أن نهيه . ﷺ . عن التعذيب بعذاب الله ليس على معنى التحريم، وإنما هو على سبيل التواضع لله، وأن لا يتشبه بغضبه في تعذيب الخلق؛ إذ

=

(١) انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ٢ / ١٤٨ .

(٢)صحيح البخاري . كتاب : الحدود . باب المحاربين من أهل الكفر والردة : ٨ / ١٦٢ . رقم : (٦٨٠٢) .

(٣)أي لا أغمده ، والعرب يقولون : شام السيف يشيمه شيما : سله ، وأغمده ؛ فهو من الأضداد . انظر : لسان العرب : ١٢ / ٣٣٠ ، (شيم)

(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٩٤١٢: ٥ / ٢١٢ / (ح): (٩٤١٢): .

(٥)صحيح البخاري . كتاب : الجهاد والسير . باب: لا يعذب بعذاب الله . عن عكرمة : ٤ / ٦١ . رقم (٣٠١٧) .

القتل يأتي على ما يأتي عليه الإحراق ، وفعل الصحابة . المذكور آنفا . خير شاهد على ذلك [١] .

قال الشيخ / عبد الكريم بن محمد الرافعي : "إن المقصود من مشروعية الجهاد مع الكفار قتالهم بأي وسيلة لتكون كلمة الله هي العليا – ولا شك أن التحريق والتغريق مما يتحقق به المقصود فيكون جائزا" [٢] .

ثانيهما : أن إحراق كل ذي روح حرام ، وهذا مذهب ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما / وهو مذهب أكثر العلماء [٣] .

قال ابن قدامة المقدسي : "(وإذا حورب العدو، لم يحرقوا بالنار) أما العدو إذا قدر عليه، فلا يجوز تحريقه بالنار، بغير خلاف نعلمه. وقد كان أبو بكر الصديق . ﷺ . يأمر بتحريق أهل الردة بالنار. وفعل ذلك خالد بن الوليد بأمره، فأما اليوم فلا أعلم فيه بين الناس خلافا [٤] .

وقال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء [ت: ٤٥٨هـ] "ولا يجوز أن يحرق بالنار حيا أو ميتا، لقوله . ﷺ . – " لا تعذبوا عباد الله بعذاب الله " [٥] .

واستدلوا على مذهبهم هذا بما يلي

١ . ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة . ﷺ . أنه قال: بعثنا رسول الله . ﷺ . في بعث فقال: (إن وجدتم فلانا وفلانا [١] فأحرقوهما

(١) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال : ٥ / ١٧٢ .

(٢) العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير ط العلمية : ١١/ ١١٥)

(٣) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع : ٢/ ٤٣٩ ؛ جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط : ١ / ٣٩٠ .

(٤) المغني لابن قدامة ط إحياء التراث : ٩/ ٢٣٠ .

(٥) انظر : الأحكام السلطانية : ص: ٥٠ .

بالنار» ، ثم قال رسول الله . ﷺ . حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما) [٢] .

٢ . ما أخرجه مسلم في صحيحه عن شداد بن أوس . ﷺ . أن رسول الله . ﷺ . قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح) [٣] .

والتحريق بالنار ينافي أحسان القتل .

٣ . أن حديث العرنيين [٤] " كان قبل نزول الحدود، وآية المحاربة والنهي عن المثلة، فهو منسوخ. وقيل: ليس بمنسوخ، وإنما فعل النبي . ﷺ . بما فعل قصاصا لأنهم فعلوا بالرعاة مثل ذلك " [٥] .

٤ . أن تجويز الصحابي معارض بمنع صحابي غيره ، وما وقع من بعض الصحابة محمول على أنه لم يبلغه الدليل [٦] .

=

(١) هما : هبار بن الأسود ونافع بن عبد قيس . انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١٤ / ٢٢٠ .

(٢) صحيح البخاري . كتاب : الجهاد والسير . باب: لا يعذب بعذاب الله : ٤ / ٦١ / رقم : (٣٠١٦)

(٣) صحيح مسلم . كتاب الصيد والذبائح . باب الأمر بإحسان الذبح والقتل: : ٣ / ١٥٤٨ / رقم : (١٩٥٥) .

(٤) سبق تخريجه . انظر : ص : ٦١ من هذا البحث .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٣/ ١٥٦ .

(٦) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٧/ ٣٣٣ ؛ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار : ص: ٩٥٣ .

قلت : الحق أنه ثمة صور اتفق أكثر العلماء عليها : إما بالإباحة ، وإما بالمنع ، من هذه الصور ما يلي :

الصورة الأولى : جواز الحرق في القصاص

فقد ذهب أكثر العلماء إلى أنه يجب أن يقتص من القاتل على الصفة التي قتل غيره بها، وبآلة تشبه الآلة التي استعملها في مباشرة القتل، حتى يتحقق القصاص ويشعر بالألم الذي شعر به القتيل، فإذا قتل الجاني بالإحراق، عمدنا إلى إيقاد نار مثل نار الجاني وألقيناه فيها ؛ لأن القصاص مماثلة ليس بعذاب، وإنما هو استيفاء حق [1] .

واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ . قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [2] .

٢ . قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [3] .

٣ . ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس . ﷺ . (أن يهوديا رض رأس جارية بين حجرين، قيل من فعل هذا بك، أفلان، أفلان؟ حتى سمي

(١) انظر : البيان في مذهب الإمام الشافعي : ١١/ ٤١٤ ؛ نهاية المطلب في دراية المذهب : ١٦/ ١٧٨ ؛ الحاوي الكبير : ١٢/ ١٤٠ ؛ الفقه على المذاهب الأربعة : ٥/ ٢٦٨ ؛ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري : ٤ / ١١١ .

(٢) سورة : البقرة : ١٩٤ .

(٣) سورة : الشورى : ٣٩ ، ٤٠ .

اليهودي، فأومأت برأسها، فأخذ اليهودي، فاعترف، «فأمر به النبي . ﷺ . فرض رأسه بين حجرين) [١] .

الصورة الثانية : جواز الحرق إذا بدأ العدو بحرق المسلمين

فقد جاء القرآن الكريم ناطقا بضرورة معاملة الأعداء بالمثل في قتالهم : زمانا ومكانا وعتادا وعدة ؛ فإن قاتلوا في الشهر الحرام قوتلوا فيه ، وإن قاتلوا عند المسجد الحرام قوتلوا عنده ، وإن مثلوا بواحد من المسلمين مثل بواحد منهم ، وآيات القرآن الكريم في هذا المجال أكثر من أن تحصى، ويكفي موضع واحد يصور ذلك أبدع تصوير ، فيه يقول ربنا جل في علاه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٢] .

---

(١) صحيح البخاري . كتاب : الخصومات . باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود: : ٣ / ١٢١ / رقم : (٢٤١٣)

(٢) سورة : البقرة : ١٩٠ . ١٩٤ .

فإذا قاتلنا أعداؤنا بالطائرات والدبابات والصواريخ والقنابل التي تشتعل نارا ؛ فيجب علينا أن نعاملهم بالمثل ؛ حتى يرتدعوا ، ويكون الدين كله لله.

ولذلك كان أمراء الجيوش الإسلامية الذين قاتلوا الروم وغيرهم كانوا يرمونهم بالنار ، ويحرقونهم : هؤلاء لهؤلاء ، وهؤلاء لهؤلاء ، ولم يزل أمراء المسلمين على ذلك [١] .

ومن هنا ؛ فليس من المعقول أن يقول قائل : إن الإسلام حرم تعذيب البشر بالنار ، ولابد أن يظل المسلمون يقاتلون بالسيوف والرماح والخيل ؛ حتى لا ينتهكوا ما حرم الله .

الصورة الثالثة : حرمة طرح الأسير . من المحاربين والعصاة من المسلمين . في النار

لقوله . ﷺ . : (استوصوا بالأسارى خيرا) [٢] .

قال الإمام الشافعي : " وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل ولا بقر بطن ولا تحريق ولا تغريق ولا شيء يعدو ما وصفت" [٣]

---

(١) هذا الأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه . كتاب الجهاد . باب : كراهية أن يعذب بالنار . عن : صفوان بن عمرو وحريز بن عثمان: ٢/ ٢٨٧ / رقم : (٢٦٤٧) ؛ وانظر : شرح الزركشي على مختصر الخرقي : ٣/ ٢٠٢ ، ٣ / ٢٠٣ .

(٢) أخرجه : الطبراني في المعجم الكبير عن أبي عزيز بن عمير : ٢٢ / ٣٩٣ / رقم : (٩٧٧) ؛ والصغير : ١ / ٢٥٠ / رقم : (٤٠٩) ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٦ / ٨٦ / رقم : (١٠٠٠٧) " رواه الطبراني في الصغير والكبير، وإسناده حسن " .

(٣) الأم للشافعي تـ رفعت فوزي : ٥/ ٥٩٧ .

وقال الإمام / الحسين بن مسعود البغوي [ت : ٥١٦هـ] " فأما تحريق الكافر بعدما وقع في الأسر، وتحريق المرتد، فذهب عامتهم إلى أنه لا يجوز" (١) .

وقال ابن قدامة المقدسي : " فصل: ومتى قدر على العدو، لم يجز تحريقه بالنار، بغير خلاف نعلمه (٢) .

فإذا نحينا هذه المسائل جانبا ؛ بقي الخلاف محصورا في دائرة ضيقة لا يكاد يذكر .

قلت : ثمت صورة رابعة يحدث الوهم فيها ، ولكنها خارجة عن هذه القضية ، وهي القتل رميا بالرصاص ؛ لأنه شاع في العرف أن القتل بالرصاص قتل بالنار ، والحق أنه ليس كذلك ؛ لأن الرصاص الشائع يتكون من جزأين : جزء منفجر وجزء معدني صلب ، هو المقذوف الذي يخترق جسد المقتول ، ويودي بحياته ، وهذا الجزء لا يقتل بسبب حرارته ، وإنما يقتل ؛ لأنه يمزق الأعضاء الحيوية في الجسد ، كالقلب والمخ ؛ فهو كالسهم .

وأما ما ظهر في الآونة الأخيرة من رصاص يحتوي الجزء الصلب المقذوف على مواد متفجرة ، لا تنفجر إلا بعد إصابة الهدف ؛ فهو داخل تحت المنع ، ولا يجوز إلا عند المعاملة بالمثل . والله أعلم .

(١) شرح السنة : ١١/ ٥٥ .

(٢) انظر : الشرح الكبير على متن المقنع : ١٠ / ٣٩٦ .

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تفرج الكربات ، في الحياة وبعد الممات، وبفضله تدرك الغايات٠

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)٠

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يسلكها إلى كل منيب سالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين٠

أما بعد٠٠

فقد تناولت . بفضل الله وعونه . موضوع : (حديث القرآن الكريم عن التعذيب بالنار في الدنيا) وفق المنهج الموضوعي ، وتوصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

١ . أن . النار : عبارة عن عملية أكسدة سريعة للمادة ، تحدث نتيجة تفاعل كيميائي لغاز مع غاز آخر ؛ تتولد عنها حرارة وضوء [١] ٠

٢ . أن النار نعمة ، ونقمة ؛ لأن منافعها أكثر من أن تحصى ، ومع ذلك فهي عدو غاشم ؛ لأنها لا تفرق بين من يعبدها ويسجد لها ، وبين من يبزق فيها ، أو يبول عليها ٠

٣ . أن الله . ﷻ . أعد النار لتعذيب العصاة من عباده في الآخرة ؛ لذا لم يعذبهم بها في الدنيا ، " حيث لم يبعث عليهم نارا وإنما جعلها من عقاب الآخرة وعذاب العقبى ٠

(١) انظر : الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٥٧ (احتراق) ؛ ٢ / ١٥٦٧ (لهب) ٠

٤ . أن النار كان لها دور غير مباشر في تعذيب المردة من عباد الله في الدنيا ،كرجم الشياطين ، وإرسال الصواعق ، وحجارة السجيل ، والدخان في آخر الزمان

٥ . أن النار . في آخر الزمان . ستعذب بعض عباد الله تعالى عذابا معنويا، حيث تصيبهم بالرعب والفزع ، بل ستعذب بعضهم عذابا حسيا ، حيث تحرق من تخلف منهم ٠

٦ . أن التعذيب بالنار من الأمور البشعة ، التي تأباها الفطرة الإنسانية ، وليس أدل على ذلك من أن كثيرا من الطغاة لم يقدموا على إحراق معارضيهم ٠

٧ . أن القرآن لم يذكر سوى مشهدين من مشاهد التعذيب بالنار ، على مدى تاريخ البشرية على ظهر هذه البسيطة ٠

٨ . أن عباد الأصنام اشتد غيظهم على سيدنا إبراهيم . عليه السلام . ولذلك طلبوا أن يبنى له بنيان ؛ حتى يتمكنوا من إيقاد نار هائلة ، يمكنهم السيطرة عليها ، مهما علا لهبها ، واشتد سعيرها ٠

٩ . أن الخوارق والمعجزات لا تهدي القلوب الجاحدة ، وإنما تؤثر في من كان عنده استعداد للهداية ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

١٠ . أن المؤمنين يصيبهم البلاء من أعدائهم في كل زمان ومكان ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب ٠

١١ . أن الله تعالى ذكر قصة أصحاب الأخدود تسلية للمؤمنين ، وتصبيرا لهم على أذى الكافرين ، وإشعارا لهم بأن قوة الله عظيمة ؛ فهو قادر

(١) سورة : النحل : ٧٩ ٠

علـى أن يعاقـب المشـركين علـى صـنيعهم ، ويثيـب المسـلمين النعـيم الأبدي في الآخرة ، والنصر في الدنيا ٠

١٢ . أن حرق كل ذي روح ، حيا أو ميتا . من غير ضرورة . لا يجوز في دين الله ؛ حتى ولو كان لحشرة مؤذية ، أو لعدو غاشم ٠

١٣ . أن استخدام الأسلحة الفتاكة مع العدو جائز ، بشرط استخدامه لها أولا ، أو التهديد باستخدامها ٠

١٤ . أن القتل بالرصاص ، أو الصيد به جائز ؛ لأنه كالسهام ٠

ثم إنني أوصي الباحثين أن ينقبوا عن الموضوعات ، التي عالجها القرآن الكريم ، والتي تعالج قضايا تهم المسلمين وغيرهم ؛ حتى ينتفع الناس بهداية القرآن ، في كل زمان ومكان ٠

وبعد ٠٠

فهذا هو جهد المقل ؛ فما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من سهو ، أو خطأ ، أو نسيان ؛ فمن نفسي والشيطان ٠

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ٠

إنه نعم المولى ، ونعم النصير

المراجـــع

٢. القرآن الكريم ٠

٣. الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلى علم الأصول] للقاضي البيضاوي [ت٧٨٥هـ] . تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، وولده تاج الدين . ط/دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٦هـ١٩٩٥ م٠

٤. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام . ابن دقيق العيد ـ ط / مطبعة السنة المحمدية . د٠ت٠

٥. الأحكام السلطانية . القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء . ت : ٤٥٨هـ) . تح / : محمد حامد الفقي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الثانية ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م٠

٦. أحكام القرآن . أبو بكر الرازي الجصاص [ت٣٧٠هـ] . تح/محمد صادق قمحاوي . ط/دار إحياء التراث العربي . بيروت . ١٤٠٥هـ

٧. آداب الجهاد في سبيل الله . علي بن نايف الشحود . ط / الأولى ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م٠

٨. الآداب الشرعية والمنح المرعية ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي . ت٧٦٣هـ . ط / عالم الكتب . د٠ت٠

٩. الأدب المفرد . محمد بن إسماعيل البخاري [ت٢٥٦هـ] تح/سمير الزهيري . ط/مكتبة المعارف . الرياض . الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م٠

١٠. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . . محمد بن علي الشوكاني . [ت١٢٥٠هـ] . تح/الشيخ . أحمد عزو عناية ، وآخرين . ط/دار الكتاب العربي . الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٩م٠

١١. الأشباه والنظائر ـ جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ) ـ ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١١هـ . ١٩٩٠م٠

١٢. أشراط الساعة – عبد الله بن سليمان الغفيلي – ط / وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف – – السعودية – الأولى، ١٤٢٢هـ

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ط/ دار الفكر . بيروت . لبنان . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م

١٤. إظهار الحق . محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي (المتوفى : ١٣٠٨هـ) – تح / د. محمد أحمد خليل ملكاوي ، الرياض – ط / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء– – السعودية – الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م .

١٥. إعراب القرآن وبيانه ـ محيي الدين درويش ت ١٤٠٣هـ . ط / دار الإرشاد للشئون الجامعية . حمص . سورية . دار اليمامة . دمشق . بيروت . دار ابن كثير . دمشق . بيروت . الرابعة . ١٤١٥هـ

١٦. الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي – ت : : ١٣٩٦هـ – ط/ – دار العلم للملايين – الخامسة عشر – ٢٠٠٢م٠

١٧. آكام المرجان في أحكام الجان . بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي ت : (٧٦٩هـ). تح / إبراهيم محمد الجمل . ط / مكتبة القرآن . القاهرة . مصر . د.ت.

١٨. الأم . محمد بن إدريس الشافعي . تح / رفعت فوزي عبد المطلب . ط / دار الوفاء . المنصورة . الأولى . . ٢٠٠١ م٠

١٩. الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه . محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي .

ت : [٦٢٠هـ] . تح / مشهور بن حسن آل سلمان ؛ محمد بن زكريا أبو غازي . ط / دار الإمام مالك مؤسسة الريان . د.ت.

٢٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ناصر الدين الشيرازي البيضاوي [ت٦٨٥هـ] . تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط/ إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى – ١٤١٨هـ

٢١. بحر العلوم . نصر بن محمد السمرقندي [ت٣٧٣هـ] . د٠ت٠

٢٢. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . ابن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ ـ تح/ أحمد القرشي رسلان ـ ط/ د ٠حسن عباس زكي . القاهرة ـ ١٤١٩هـ٠

٢٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد . أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد . ت : [٥٩٥هـ] . ط / دار الحديث . القاهرة . ١٤٢٥هـ .٢٠٠٤ م٠

٢٤. البداية والنهاية . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي . ط / مكتبة المعارف . بيروت . د٠ت٠

٢٥. بدائع الفوائد ـ ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ ـ ط/الكتاب العربي . بيروت . دت٠

٢٦. البرهان في علوم القرآن ـ أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤هـ ـ تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م٠

٢٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ـ عبد المتعال الصعيدي ت ١٣٩١هـ ـ ط / مكتبة الآداب ـ السابعة عشر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م٠

٢٨. البيان في مذهب الإمام الشافعي . أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي [ت : ٥٥٨هـ] . تح / قاسم محمد النوري . ط / دار المنهاج . جدة . الأولى . ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠م٠
٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس . محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى ، الزبيدي ت ١٢٠٥هـ . تح / مجموعة من المحققين . ط / دار الهداية . بيروت ٠
٣٠. تاريخ ابن الوردي . عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، ابن الوردي (ـ ت☹٧٤٩هـ) . ط/ دار الكتب العلمية . بنان / بيروت . الأولى . ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م٠
٣١. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – ت: ٣١٠هـ ط / دار التراث – بيروت – الثانية – ١٣٨٧هـ
٣٢. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ـ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ ط / الدار التونسية للنشر . تونس ١٩٨٤هـ
٣٣. تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي . سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي . تح / أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري . ط/ دار القبلتين . الرياض . المملكة العربية السعودية . الأولى . ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢م٠
٣٤. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي – ت : ٦٧١هـ – تح / د. الصادق بن محمد بن إبراهيم – ط/ دار المنهاج للنشر والتوزيع – الرياض – الأولى، ١٤٢٥هـ
٣٥. التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزي الكلبي ت ٧٤١هـ ـ تح/ د٠ عبد الله الخالدي . ط / دار الأرقم . بيروت . الأولى . ١٤١٦هـ ٠

٣٦. التعاريف . زين الدين المناوي [ت١٠٣١هـ] ط / عالم الكتب . القاهرة . الأولى ١٤١٠هـ١٩٩٠م٠
٣٧. التعريفات . الشريف الجرجاني [ت٨١٦هـ] تح/ مجموعة من العلماء . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الأولى ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م٠*
٣٨. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي . تح / سامي بن محمد سلامة . ط / دار طيبة الرياض . السعودية . الثانية .١٤٢٠هـ . ١٩٩٩ م
٣٩. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) أبو السعود محمد بن محمد العمادي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت ٠
٤٠. تفسير الإمام ابن عرفة . محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي[ت٨٠٣هـ] . تح / د. حسن المناعيط / مركز البحوث بالكلية الزيتونية . تونس . الأولى، ١٩٨٦م٠
٤١. تفسير البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ ـ تح/ صدقي محمد جميل . ط / دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ*
٤٢. التفسير الجامع لسورة الملك . أبو يوسف بن إسماعيل المصري . د.ت.
٤٣. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) عبد الرحمن بن ناصر السعدي . تح / عبد الرحمن بن معلا اللويحق . ط/ مؤسسة الرسالة . الأولى . ١٤٢هـ ٢٠٠٠ م٠
٤٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير الطبري تح / أحمد محمد شاكر . ط / مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى . ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م٠

٤٥. تفسير القرآن العظيم . أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي . تح / أسعد محمد الطيب . ط / **مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودي** ـ الثالثة ـ ١٤١٩هـ ٠

٤٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي . تح / هشام سمير البخاري . ط / دار عالم الكتب . الرياض، . السعودية . ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م٠

٤٧. تفسير الماوردي (النكت والعيون) – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي – ت: ٤٥٠هـ – تح / السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ت.

٤٨. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) . محمد رشيد رضا [ت١٣٥٤هـ] ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٠م٠

٤٩. تفسير جزء عم . محمد بن صالح العثيمين . ت : (١٤٢١هـ) . إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان . ط/ دار الثريا للنشر والتوزيع . الرياض . الثانية. ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م٠

٥٠. التفكر والاعتبار بآياتِ الكسوف والزلازل والإعصار . أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد . ط/ مكتبة الملك فهد الوطنية . الأولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م٠

٥١. تلخيص المستدرك . شمس الدين أبو عبد الله الذهبي ت ٧٤٨هـ . طبع بحاشية المستدرك

٥٢. التوقيف على مهمات التعاريف . زين الدين المناوي [ت١٠٣١هـ] ط / عالم الكتب . القاهرة . الأولى ١٤١٠هـ١٩٩٠م٠

٥٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم . زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي [ت : ٧٩٥هـ] . تح/ شعيب

الأرناؤوط . إبراهيم باجس . ط/ مؤسسة الرسالة . بيروت . السابعة . ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م٠

٥٤. الجغرافيا المناخية والنباتية . عبد العزيز طريح شرف . ط/ دار المعرفة الجامعية . الحادية عشرة

٥٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ أحمد بن إبراهيم الهاشمي ت ١٣٦٢هـ . تح / د. يوسف الصميلي . ط / المكتبة العصرية بيروت

٥٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن . أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ☹ ٨٧٥هـ) . تح / الشيخ محمد علي معوض ؛ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود . ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت . الأولى . ١٤١٨ هـ ٠

٥٧. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي . أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي [ت ٤٥٠هـ] . تح / الشيخ علي محمد معوض . الشيخ عادل أحمد عبد الموجود . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الأولى . ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩م٠

٥٨. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة . زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري . تح / د. مازن المبارك . ط / دار الفكر المعاصر . بيروت . الأولى ، ١٤١١ هـ

٥٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . أبو نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠هـ ط / السعادة . مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م٠

٦٠. الحيوان . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تح / عبد السلام هارون ط / دار الجيل . لبنان . بيروت . ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ٠

٦١. درة التنزيل وغرة التأويل . أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (. ت : (٤٢٠هـ). تح / د/ محمد مصطفى آيدين . ط / جامعة أم القرى . المملكة العربية السعودية ٠
٦٢. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري . عربه / حسن هاني فحص ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م
٦٣. ديوان الحطيئة
٦٤. ديوان النابغة الزبياني . النابغة الزبياني . تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط / دار المعارف . القاهرة . الثالثة ١٩٩٠ ٠
٦٥. ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ت : (٤١هـ) . تح / حمدو طمّاس . ط/ دار المعرفة . الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م
٦٦. روح البيان . إسماعيل حقي الإستانبولي . ط / دار إحياء التراث العربى ٠
٦٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . أبو الفضل محمود الألوسي . ط / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . د٠ت٠* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . أبو الفضل محمود الألوسي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . د٠ت٠*
٦٨. الروض الداني (المعجم الصغير) . سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني [ت : ٣٦٠هـ] . تح / محمد شكور محمود الحاج أمرير . ط / المكتب الإسلامي . دار عمار . بيروت . عمان . الأولى . ١٤٠٥ . ١٩٨٥م٠
٦٩. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت ٩٧٧هـ ط / مطبعة بولاق (الأميرية) . القاهرة ١٢٨٥هـ

٧٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ ـ ط / مكتبة المعارف . الرياض ـ الأولى ١٤١٥ . ١٤٢٢هـ ١٩٩٥ . ٢٠٠٢م٠

٧١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ـ محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ ط / دار المعارف . الرياض . السعودية . الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م٠

٧٢. سنن ابن ماجه . محمد بن يزيد القزويني ت : (٢٧٣هـ) . تح/ شعيب الأرنؤوط – ؛ عادل مرشد ؛ محمَّد كامل . ط/ دار الرسالة العالمية . الأولى . ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٧٣. سنن أبي داود ـ سليمان بن الأشعث السِّجِستاني ت ٢٧٥هـ تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد . ط / المكتبة العصرية صيدا . بيروت . د٠ت٠

٧٤. سنن الترمذي . محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ . تح / أحمد محمد شاكر ؛ محمد فؤاد عبد الباقي ؛ إبراهيم عطوة عوض ـ ط / مصطفى البابي الحلبي . مصر . الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م٠

٧٥. السنن الصغرى (المجتبى من السنن) ـ أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ تح/ عبد الفتاح أبو غدة ـ ط / مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب . الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م٠

٧٦. سنن سعيد بن منصور . أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني [ت : ٢٢٧هـ] . تح / حبيب الرحمن الأعظمي . ط / الدار السلفية . الهند . الأولى ١٤٠٣هـ . ١٩٨٢م٠

٧٧. السيرة النبوية – جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري– ت : ٢١٣هـ – تح / مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ الشلبي – ط / مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة – – الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م

٧٨. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار . محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني [ت : ١٢٥٠هـ] . ط / دار ابن حزم . الأولى د.ت.
٧٩. شرح الزركشي على مختصر الخرقي . شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي [ت : ٧٧٢هـ] . ط / دار العبيكان . الأولى . ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣م ٠
٨٠. شرح السنة ـ محيي السنة أبو محمد الحسين البغوي ت ٥١٦هـ تح/ شعيب الأرنؤوط ؛ محمد زهير الشاويش ـ ط / المكتب الإسلامي ـ دمشق بيروت . الثانية ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م
٨١. الشرح الكبير على متن المقنع ـ ابن قدامة المقدسي ت ٦٨٢هـ ـ ط / دار الكتاب العربي . د٠ت٠
٨٢. شرح صحيح البخاري لابن بطال . ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك [ت : ٤٤٩هـ] . تح / أبو تميم ياسر بن إبراهيم . ط / مكتبة الرشد . السعودية . الرياض . الثانية . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م٠
٨٣. شرح مختصر الروضة ـ سليمان الطوفي ت ٧١٦هـ تح/ عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط / مؤسسة الرسالة . الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م٠
٨٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت ٣٩٣هـ . تح / أحمد عبد الغفور عطار ـ ط / دار العلم للملايين . بيروت . الرابعة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م
٨٥. صحيح ابن حبان " الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" ـ محمد بن حبان التميمي ت ٣٥٤هـ . تح / شعيب الأرنؤوط ـ ط / مؤسسة الرسالة بيروت . الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م٠*

٨٦. صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري ـ تح / د. مصطفى ديب البغا . ط / دار ابن كثير . اليمامة ـ بيروت . الثالثة ـ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ م٠*

٨٧. صحيح الترغيب والترهيب . محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ ط / مكتبة المعارف . الرياض . الخامسة ٠

٨٨. صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري . تح / محمد فؤاد عبد الباقي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . د ٠ ت ٠

٨٩. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة . محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ابن قيم الجوزية) ت: (٧٥١هـ) . تح/ علي بن محمد الدخيل الله . ط/ دار العاصمة. الرياض المملكة العربية السعودية . الأولى، . ١٤٠٨هـ ٠

٩٠. العزيز شرح الوجيز (المعروف بالشرح الكبير) . عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعي القزويني [ت : ٦٢٣هـ] . تح / علي محمد عوض . عادل أحمد عبد الموجود . ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الأولى . ١٤١٧ هـ . ١٩٩٧م٠

٩١. علوم البلاغة . أحمد بن مصطفى المراغي ت ١٣٧١هـ د٠ت٠

٩٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري . بدر الدين العيني (أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابي الحنفي [ت٨٥٥هـ] . ط/ دار إحياء التراث العربي . بيروت . د٠ت٠

٩٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود . محمد أشرف بن أمير آبادي ت ١٣٢٩هـ ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الثانية ١٤١٥هـ

٩٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ الحسن بن محمد النيسابوري ت٨٥٠هـ تح/ الشيخ زكريا عميرات ـ ط/ دار الكتب العلمية . بيروت ـ الأولى . ١٤١٦هـ٠

٩٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . ط / دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩ هـ
٩٦. فتح القدير ـ محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ط / دار ابن كثير دار الكلم الطيب . دمشق بيروت . الأولى . ١٤١٤هـ ٠
٩٧. الفقه على المذاهب الأربعة . عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري [ت : ١٣٦٠هـ] . ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الثانية، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣م٠
٩٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . تح / عبد الرزاق المهدي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م ٠
٩٩. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . إسماعيل بن محمد العجلوني [[ت١١٦٢هـ] ط/القدسي . القاهرة . ١٣٥١هـ ٠
١٠٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين . أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي . تح / علي حسين البواب . ط / دار الوطن . الرياض . ١٤١٨هـ ١٩٩٧م٠
١٠١. الكليات ـ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . تح / عدنان درويش ـ محمد المصري . ط/ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٠٢. لباب التأويل في معاني التنزيل ـ (الخازن) علاء الدين الشيحي ت ٧٤١هـ تح/ محمد علي شاهين . ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٥هـ.

١٠٣. اللباب في علوم الكتاب . ابن عادل الحنبلي ت ٧٧٥هـ تح/ عادل عبد الموجود . علي محمد معوض . ط / دار الكتب العلمية . بيروت / لبنان . الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م٠

١٠٤. لسان العرب . محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١هـ ط / دار صادر . بيروت . الثالثة . ١٤١٤هـ ٠*

١٠٥. مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . ت ١٤٢٠هـ ط/ مكتبة المعارف . الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

١٠٦. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ـ شيخ زاده، ت ١٠٧٨هـ ط / دار إحياء التراث العربي . د٠ت٠

١٠٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ أبو الحسن الهيثمي ت ٨٠٧هـ تح/ حسام الدين القدسي . ط / مكتبة القدسي . القاهرة . ١٤١٤هـ ١٩٩٤م٠

١٠٨. المجموع شرح المهذب يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ ط / دار الفكر . بيروت . د٠ت٠

١٠٩. المحاضرات في اللغة والأدب . أبو علي، نور الدين الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (ت ☹ ١١٠٢هـ) . تحقيق وشرح / محمد حجي ، أحمد الشرقاوي إقبال . ط / دار العرب الإسلامي . بيروت . الثانية . ٢٠٠٦ م ٠

١١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ابن عطية الأندلسي ت ٥٤٢هـ تح/ عبد السلام عبد الشافي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت ـ الأولى . ١٤٢٢هـ

١١١. مختار الصحاح ـ زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي ت ٦٦٦هـ ـ تح/ يوسف الشيخ محمد ـ ط / المكتبة العصرية . الدار النموذجية بيروت . صيدا . الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م٠

١١٢. المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما . ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت : ٦٤٣هـ . تح / أ.د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش . ط/ دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . لبنان . الثالثة. ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .

١١٣. المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم . ت٤٠٥هـ تح / مصطفى عبد القادر عطا ـ ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى . ١٤١١هـ١٩٩٠م٠

١١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . ت٢٤١هـ تح/ شعيب الأرنؤوط . ط / مؤسسة الرسالة ـ الأولى . ١٤٢١هـ ٢٠٠١م٠

١١٥. مسند البزار [البحر الزخار] أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار ـ تح / محفوظ الرحمن زين الله ـ عادل بن سعد) ـ وصبري عبد الخالق الشافعي ـ ط / مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ الأولى ـ ١٩٨٨مـ ٢٠٠٩م)

١١٦. المصنف . أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني [ت : ٢١١هـ] . تح / حبيب الرحمن الأعظمي ط/ المكتب الإسلامي . بيروت . الثانية . ١٤٠٣هـ

١١٧. معاني القرآن وإعرابه . أبو إسحاق الزجاج ت٣١١هـ ط / عالم الكتب . بيروت . الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م٠

١١٨. معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها . د. (فانيا مبادي) ف. عبد الرحيم . ط/ دار القلم . دمشق . الأولى١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م ٠

١١٩. المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني . تح / حمدي بن عبد المجيد السلفي ط / مكتبة العلوم والحكم . الموصل . الثانية . ١٤٠٤ . ١٩٨٣ م٠

١٢٠. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار . ط/ دار الدعوة . د٠ت٠

١٢١. المغني شرح مختصر الخرقي . أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، [ت٦٢٠ هـ] . ط / دار إحياء التراث العربي الأولى . ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥م٠

١٢٢. مفاتيح الغيب . فخر الدين محمد بن عمر الرازي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠ م٠

١٢٣. المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهانى ت ٥٠٢هـ تح/ صفوان الداودي . ط / دار القلم . دمشق . بيروت . الأولى . ١٤١٢هـ٠

١٢٤. مقاييس اللغة . أبو الحسين أحمد بن فارس - تح / عبد السلام محمد هارون . ط / دار الفكر . بيروت . ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٢٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري . حمزة محمد قاسم . تح / الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ؛ بشير محمد عيون . ط / مكتبة دار البيان، دمشق . سوريا . ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠م٠

١٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - ط / دار إحياء التراث العربي – بيروت - الثانية، ١٣٩٢

١٢٧. المُهذّبُ في عِلمِ أُصُولِ الفِقهِ المُقارنِ . عبد الكريم بن علي النملة - ط / مكتبة الرشد . الرياض . الأولى . ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م٠

١٢٨. المواقف . عضد الدين الإيجي ت ٧٥٦هـ تح/ عبد الرحمن عميرة - ط / دار الجيل . لبنان . بيروت . الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م٠

١٢٩. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ـ محماس بن عبد الله الجلعود ت ١٤٢٨هـ ط / دار اليقين . الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
١٣٠. الموسوعة العربية الميسرة . تحت إشراف / محمد شفيق غربال . :ط/ دار الجيل . بيروت . ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م ٠
١٣١. الموطأ . مالك بن أنس . تح / محمد مصطفى الأعظمي . ط / مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان . الاولى . ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م
١٣٢. نهاية الأرب في فنون الأدب . شهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ ط / دار الكتب والوثائق القومية القاهرة . الأولى ١٤٢٣هـ ٠
١٣٣. نهاية المطلب في دراية المذهب . عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ، الملقب بإمام الحرمين [ت : ٤٧٨هـ] . تح / أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب . ط / دار المنهاج . الأولى . ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م٠
١٣٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . تح / إحسان عباس . ط / دار صادر . بيروت . ١٩٩٤م٠

فهرس

الموضوع	الصفحة
ملخص عربي	٢٤٧
ملخص انجليزي	٢٤٨
مقدمـــة :	٢٤٩
تمهـــيد : تعريف النار وبيان أهميتها في الدنيا	٢٥٣
المبحـث الأول : تعذيب الله عز وجل بعض عباده بالنـار فـي الدنيا	٢٥٥
صور من تعذيب الله لعباده بالنار في الدنيا	٢٥٥
١- رجم الشياطين بالشهب	٢٥٥
٢- ارسال الصواعق	٢٥٨
٣- حجارة السجيل	٢٧٧
المبحث الثاني : تعذيب الناس بعضهم لبعض بالنار	٢٨٧
المشهد الأول : إلقاء الكفار لإبراهيم في النار	٢٨٨
المشهد الثاني : أصحاب الأخدود	٢٩٢
حكم حرق العدو بالنار	٣٠٥
الخـاتمـة :	٣١٣
المراجـــع :	٣١٦
الفهـرس :	٣٣٢